المقتبس

اعداء الاصلاح

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق افراد
لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم فيم تمشى مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد

ماخلا عصر من عصور الاسلام من اعداء لكل جديد ومن جامدين ينكرون كل مالا يألفون . فقد لقي المعتزلة والفلاسفة والمتكلمون والنظار من اعداء العقل كل شدة في القرون الراقية وكان عقل المملوك هو الذي يحول على الاغلب بين الجامدين وبين مايشتهون من الاعتداء على القائمين بتأييد سنن العقل والناشرين باقوالهم وافعالهم مذاهب السنة والنقل . ومن نظر نظرة مجردة عن الغرض في سيرة المناهضين للمصلحين على اختلاف الاعصار يجدهم جروا على غير مايعتقدون وطلبوا بمقاومة المصلحين ارضاء العامة ونيل الحظوى لديهم واستبداع الجاهلين من الملوك والسلاطين وقليل جداً من كان الاخلاص رائدهم في اعمالهم ومآتيهم .

يقاوم في العادة الجاهل النابه لئلا يكون له مكانة كمكانته، ويتجاهل الجاهل على العالم ليعرف بين قومه بانه قسيمه في صناعته ومثيله في فضيلته ويطعن الجامد المخرق بمن يجب ان يعبد الله بعقل ويبحث في عالم الكون والفساد برؤية لينظاهر بانه بعيد النور شديد الغيرة وما اقواله الا رياء ومافعاله الا وساوس واهواء .

لقي المصلحون من الاهوال مالقي في الامة العربية اكثر مما لقيه امثالهم في الامم الاخرى فيما نحسب وخصوصاً بعد القرن السابع وقد توزعت بلاد الاسلام ملوك الطوائف وكان

اكثرهم على جانب من الجهل والغباوة لايهمهم الارضاء المشعبذين بالدين ليحولوا العامة اليهم فيقوى بهم ضعفهم و يستعينون بهم على تكبير رقعة ممالكهم و بسط ظل سلطانهم على النفوس فيستمتعون بشهواتهم و بذخهم ورفاهيتهم .

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين اعجب
واعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين اعجب

ساعد على الانتقام من العاملين العاملين ناس من ارباب المذاهب سرت احكامهم بقوة اربابها فكان الحكم يجري على المبتدعة وارباب الاهواء بزعمهم بموجب قوانين لم سنوها ومنها المذهب المالكي الذي كان يحكم قاضيه بقتل اكبر عالم في الامة — والقتل يعد من التعزير في مذهب مالك — خالف المألوف من العادات التي اعتقدتها من اصل الدين وعد الخروج عنها كفراً والحاداً وما اسهلهما واسهل صدور الحكم بهما من اعداء الاصلاح المحاكمين

سالت الدماء كالاودية في بغداد للفتن بين الحنابلة والشافعية مرات وسالت دماء كثير من الخاصة في كل قرن وعذبوا وأوذوا بواسطة ارباب المظاهر من المتنطعين ممن شق عليهم ان يروا كلمة الاصلاح الديني والدنيوي تفعل في الارواح فعلها المطلوب فحدثتهم انفسهم ان يتساوى المفكرون وغيرهم في نظر العامة ان لم يتمكنوا من استلابهم ليخلو لهم الجو و يقتصر في تقبيل الايدي وطلب الدعوات والتماس البركات عليهم دون سائر المنتسبين للعلم والشريعة .

ومن غرائب اسرار الله في خلقه ان جميع من قاوموا المخلصين من المصلحين دثروا ودثرت اسماؤهم وظلت اسماء من عادوهم وآذوهم تشهد بالجهل المركب على اعداء العقل السليم والتعاليم الصحيحة

اين اعداء الغزالي والسهروردي والآمدي وابن جرير وابن تيمية وابن رشد ذهبوا كلهم كأمس الدابر و بقيت الامة تردد على وجه الدهر اسماء هؤلاء المصلحين العاملين ولتتناقل ماخطته اناملهم من سطور الاصلاح « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث في الارض »

لا يذكر التاريخ اليوم الا افراداً ممن ناوأوا رجال العقل الرجيح والنقل الصحيح اشتهروا لاحتكاكهم بالحكام وموهوا على العامة بحسن حالهم لظهير دنيوي ارادوه وحطام من الدنيا تطلت نفوسهم لان يقتنوه كأن يكون احدهم قاضياً يخاف ان يشوكه ذاك العالم

المستبير في فضائله او شيخ عامة حدثته نفسه بالاستئثار بهذا المظهر الذي يفقده جماع فضائل الدنيا والآخرة .

امثال هؤلاء المخدوعين المنافقين بدلوا المعالم والتعاليم مرضاة لارباب الرئاسات والزعامات وجعلوا تلك النفوس العمار للبيت فيما لم ينزل به سلطان وجازوا حد الشرع وهم يتظاهرون بانهم المؤتمنون عليه ومنهم ومن اعمالهم يشكو ويئن كما تشكو المدنية والانسانية

وهل افسد الدين الا الملو ك واحبار سوء ورهبانها

ان من يتظاهرون بالدين وباطنهم منه بريء أضر على الدين ممن يعاديه . ومن يدعو في الغالب الى الصلاح ويتخذ التقية امام العامة ذريعة يكون اقرب الى الانحلال والضلال منه الى من لا يبالي بظنون الناس دعاة الدين والقائمون عليه وعنهم يؤخذ ويهتدي بهديهم . وشر الناس من يسيرون غير ما يظهرون ويتلونون باللون الذي يرون انه اوفق لهم لجر مغنم واحراز مظهر

ان هؤلاء العامة ممن يتطاولون الى مقامات العلماء هم افسد من العامة لان شيطانهم يتكلم وشيطان هؤلاء اخرس لا يبدي ولا يعيد . هم سوس الفساد في كيان هذا المجتمع يدعون معرفة كل شيء وهم لم يثقفوا شيئاً الا ما سولته لهم انفسهم وحدثتهم به شياطينهم . شعارهم التدليس والتظاهر بالغيرة على المحارم ولو بحثت عن اعمالهم لرأيتهم اول المجترئين على انتهاك حرمات الاديان والشرائع وهم يتدسونها بلسانهم والعابثين بحدودها وهم يدعون الناس الى الوقوف عند مراسيمها والسعاية بالمصلحين ليفتوا في اعضادهم ويفسدوا عليهم امرهم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره ايالسة التدجيل والتضليل من علماء (١) السوء

لو كان اعداء المصلحين على شيء من التدين الحقيقي لكانوا اشتغلوا بمذا القديم بارشاد العامة وانكار المنكرات الماثلة في كل عصر امامهم مثول الشمس في السماء رأد الضحى ولكن المتدلسة امثالهم يتعلمون من قشور العلوم ما يستعينون به على الاخذ من اموال الحكومات والاغنياء والتغرير بالعامة ولذلك كان اكثر اشتغال من سموا انفسهم بالعلماء في كل عصر بالفقه لانه سلم الى ما يتطاولون اليه من الجاه والمال وحسن الحال

(١) في اول الجزء الاول وآخر الجزء الثالث من كتاب احياء علوم الدين فصول بديعة في علماء السوء راجعها ان احببت .

قال حجة الاسلام الغزالي في الاحياء : « اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا ائمة علماء بالله تعالى فقهاء في احكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الاقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادراً في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فلم يفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لما وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الحلى من الدنيا واقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كانقل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طولبوا هربوا واعرضوا فاضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلاً الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من أفلح والمفلح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا عزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الامن وفق الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعبت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقاً على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص فتركك الناس الكلام وفنون العلم واتنالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفة على الخصوص

وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع ونشر بر على المذهب وتمهيد أصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون الى الآن وليس ندري ما الذي يحدث الله فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او علم آخر من العلوم لمالوا ايضاً معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به هو علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين اه»

هذا موجز من تاريخ التخذلق في الدين وصف به حجة الاسلام طغمتهم في عصره وعصره الخامس من افضل عصور النور في الاسلام فما بالك بامثالهم بعده وقد حدثت من الاحداث ما كان الجهل سداها ولحمتها والنيل من المخلصين مبدأها وغايتها وما اصدق ما قاله حجة الاسلام ايضاً في هؤلاء الطغام اعداء الاسلام والسلام في اول كتابه التفرقة بين الاسلام والزندقة قال: «واني تخلى اسرار الملكوت لقوم الهمهم هواهم، ومعبودهم سلاطينهم، وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم، وشريعتهم رعونتهم، وارادتهم جاههم وشهواتهم، وعبادتهم خدمتهم اغنياءهم، وذكرهم وساوسهم، وكلامهم سواسهم، وفكرهم استنباط الحيلة لما تقتضيه حشمتهم فهؤلاء من اين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان أبالهام الهي ولم يفرغوا القلوب عن كدورات الدنيا لقبولها ام بكمال علمي وانما بضاعتهم في العلم مسألة النجاسة وماء الزعفران وامثالها هيهات هيهات هذا المطلب انفس وأعز من ان يدرك بالمنى او ينال بالهوينا فانشد ان انت بشأنك ولا تضيع فيهم بقية زمانك و (اعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى)»

وبعد فان في هذا العصر فئات في هذا الشرق ممن استعاذ منهم المصلحون في كل عصر ولكنهم ويالاسف حشالة الحشالة، ومثال الجهالة والضلالة، ان قلت لهم تعالوا فلان، قالوا لك او نسيت تعاليم فلان فهي احسن واسلم، وان حرضتهم على علم كذا قالوا علم كذا افضل، وان شرحت لهم اساليب المدنية، قالوا انها لم تؤت الا من قبل دينها فتركناه فصارت حالنا الى ماترى، وان حدثتهم بطرق الارتقاء قالوا انه يدعونا الى الانحلال كأنه ما كفانا ما نحن فيه من البدع، وان دعوتهم الى الاخذ بما صح من احكام الحلال والحرام، اوردوا لك من اقوال شيوخهم واقاصيص عجائزهم واحلام

حاليهم ومثبطات المتزهدين والمتورعين منهم ماتسأل الله معه السلامة، وان حببت اليهم المعروف قالوا لك ما اكثر المنكرات .

حملة اهواء ، لاحملة شريعة ، وجعاب لغو وحشو لاقوام على ما يقوم العقل ، سلاحهم المغالطة ، ومجنهم السفسطة ، رأس مالهم الثرثرة ، وربحهم الغلبة بالباطل ، والمهارة في المهاترة على غير طائل ، مناهم ، من دينهم ودنياهم ، ان تفخم القابهم ، وتملأ كراشهم وعبابهم ، وترفع بين الغاغة متازلهم ، ويزيد وابطة في الجسم لا في العقل ، وتكتب لهم في العالمين شهرة بعيدة بدون ان يعدوا لها اداة من ادواتها ، ويصرفوا في التحصيل ساعة من اوقاتهم ، وأبهم الحظ من الفضلاء ، ومجبراهم النيل من العظماء

يرقعون ويلفقون ، ويراوغون ويماحكون ، واكسون ماكسون ، مدلسون موالسون ، يعادون مايجهلون ، يجمدون على مايعرفون ، يصانعون ولا يتلطفون ، يفتون وهم لا يعلمون ، يجتهدون ويخطؤن ، يهرفون بما لا يعرفون ، يعدون علوم البشر ذرة من معارفهم ، ويحتقرون ما لا تبلغه مداركهم كأن فضل الله محصور فيهم ، وكأن من لا يجري على هواهم محروم من السعادة هالك ، اولئك هم ثعالب الانس يأكلون لحم اخوانهم بالغيبة والوشاية ، ويمشون بين الناس بالنميمة والسعاية ، اسود ولكن على نحت اثلات مخالفيهم ، نمور ولكن لا يحسنون الوثب الا على من لا يصلحون خدمة لهم . يفترون ويغرون ، يغوون ولا يخافون ، يخربون ولا يدرون ، يخرفون ولا يستحون ، يخرقون ولا ينتهون ، فهم اضر على الناس من قطاع السابلة ، وافسد في جسم المجتمع من الادواء القتالة ، يرجعون بالامة القهقرى ، والدواعي تهيب بها الى التقدم ، ويزينون لها الفناء والعدم ، والمصلحة قاضية بالتماسك والتعاون ، ويملون لها الذل والصغار ، وركوب متن العار ، والحالة تدعو الى تحكيم العقل في كل قول وعمل

فاللهم ثبت اقدام المصلحين وهيء لهم من الكفاءة ما يقوون به على رد غارات اعداء الامة في اصلاحها فقد كفاها جهلاً وضلة بما كسبت ايدي المنافقين وما جلبوا عليها من الخزي المبين «وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . . . والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما »

بين الفيحاء والشهباء

المملكة الحموية

« حماة » كلمة سامية معناها الحصن المنيع والحمى . وحماة عاصمة مملكة لايعرف اتساعها تختلف باختلاف الدول والازمان وقد ذكر موسى اليهودي حماة الكبرى وذكر بعض الافرنج انه ربما كان انطيوخوس الرابع ايفان هو الذي سماها ابفانيا وسماها مؤرخو النصرانية الاول كذلك . هذه رواية الافرنج ولم يصرح جغرافيو العرب بان فامية هي حماة بعينها بل قالوا ان فامية و يقال لها افامية هي مدينة [1] قديمة ويطلق هذا الاسم على كورتها ايضاً وكانت فامية عظيمة قديمة على نشز من الارض لها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب (العاصي) وقال ياقوت ان فامية مدينة كبيرة وكورة من سواحل حمص وقد يقال لها افامية قال عيسى بن سعدان الحلبي يذكرها

يادار علوة ماجيدي بمعطف ... الى سواك ولا قلبي بمنجذب
وياقرى الشام من ليلون لانخلت ... على بلادكم هطالة السحب
مامر برقك مجتازاً على بصري ... الا وذكرني الدارين من حلب
ليت الغواديم من شرقي فامية ... اهدت الي نسيم البان والغرب
ماكان اطيب ايامي بقربهم ... حتى رمتني عوادي الدهر من كثب

وهذا دليل على ان فامية كانت من المدن المعروفة غير حماة يؤيد ذلك ان حماة معروفة بهذا الاسم في الجاهلية فكان الشاعر حرياً بان يذكرها بلفظها المتعارف افتتح حماة ابو عبيدة سنة ١٧ وكانت معروفة في الجاهلية بهذا الاسم وذكرها امرؤ القيس في شعره بقوله:

تقطع اسباب اللبانة والهوى ... عشية رحنا من حماة وشيزرا
بسير يضج العود منه يمينه ... اخو الجهد لايلوي على من تعذرا

قال ابن حوقل ان شيزر وحماة مدينتان صغيرتان نزهتان كثيرتا المياه والشجر والزروع والفواكه وقال ياقوت [2] ان حماة مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار واسعة الرقعة حفلة الاسواق يحيط بها سور محكم وبظاهر السور حاضر كبير جداً

(١) تقويم البلدان لابي الفدا (٢) معجم البلدان

فيه اسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصي عليه عدة نواعير وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبة في حصانتها واتقان عمارتها وحفر خندقها نحو مئة ذراع واكثر للملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب . ولم تكن قديماً مثل ما كانت في القرن السادس من العظم بسلطان مفرد بل كانت من عمل حمص وسماها احمد بن الطيب قرية سنة ٢٧١ وذلك فيما ذكره من البقاع التي شاهدها في سيره من بغداد

واستولى الاسماعيليون على حماة زمن الصليبيين واستولى عليها تنكرد احد ملوكهم سنة ١١٠٨ م ثم استعادها طغتكين التركي من الافرنج سنة ١١١٠ واصيبت بزلزال شديد سنة ٥٥٢ هـ حتى ذكر المؤرخون ان احد معلمي الكتائيب خرج لحاجة وعاد وقد وقع السقف على رؤوس الاولاد كلهم قال ولم يحضر احد من اوليائهم يسأل عن ابنه الهالك وذلك لانهم هلكوا عن بكرة ابيهم . واستولى على حماة صلاح الدين يوسف ابن ايوب .

وان ماعرف من تاريخ هذه المدينة ليشهد بان ايام صاحبها ابي الفدا اسماعيل كانت اسعد من غيرها وبها وبه اشتهرت ولا عجب فالبلاد قد تسعد برجل وتشقى برجل فكما سعدت دمشق بعهد نور الدين وصلاح الدين وسعدت بغداد بالرشيد والمأمون هكذا سعدت حماة بابي الفدا الملك المؤيد صاحب حماة والمعرة وبرزين . ولم تر بعده وهو ملك من اهلها ومن أسرة صلاح الدين يوماً يشبه تلك الايام في السعادة وبقي الخراب يتحيفها حتى وصلت الى ماوصلت اليه لهذا العهد من الانحطاط . واحر بها ان يقال لها اليوم قرية كبيرة لا لقلة نفوسها فانهم خمسون الفاً ولا لتنير معالمها وضعف زراعتها فانها مازالت بحالها بل لقلة عمرانها وجهل سكانها الا قليلاً .

لم يقل ابو الفدا في جغرافيته الا انها : مدينة ازلية ولها ذكر في كتب الاسرائيليين وهي من اثره البلاد الشامية والعاصي يدير على غالبها من شرقيها وشماليها ولها قلعة حسنة البناء مرتفعة وفي داخلها الارحية على الماء وبها نواعير على العاصي تسقي اكثر بساتينها ويدخل منها الماء الى كثير من دورها وحماة بلدة قديمة مذكورة في التوراة وهي وشيزر مخصوصتان بكثرة النواعير دون غيرهما من بلاد الشام

وحدد ابن فضل الله (١) حماة من القبلة الرستن وما سامته آخذاً مابين سلمية وقية ملاعب الى حيث مجرى النهر والآثار القديمة ومن الشرق البر آخذاً على سلمية الى ما

(١) التعريف بالمصطلح الشريف

استقبل عن قبة ملاعب ومن الشام آخر حد المعرة من انقراتا(؟) ومن الغرب مضافات مصياف وقلاع الدعوة وليس لها تطلق يدبر على غير ولاية يرها الخاص بها نفسها وبارين والمعرة .

وقال شيخ الربوة (١) في القرن الثامن ان الشام كانت تنقسم على عهد الدولة التركية الى ثمانية اقسام او ممالك والمملكة الرابعة من الثمانية حماة وبها سلطان ملك ونائب ه ذنل وهي مدينة حسنة خصبة كثيرة الخير والارزاق يحوطها النهر العاصي ويأتيها جاريا من جانبيها ويجمع بين الجانبين قنطرة ومن اعمالها الكبار بعرين وتسمى بارين (٢) وهي قلعة منيعة وسلمية وهي على سيف البرية بناها عبد الله بن صالح وعلي ابن عبد الله بن عباس ولها قناة كبيرة

وذكر حماة غرس الدين الظاهري (٣) بلفظ المملكة ايضاً وقال انها متسعة تشتمل على مدن وقلاع واقاليم وقرى واعظم مدنها حماة وان قلعتها اخربها تيمورلنك وبها جوامع ومدارس ومساجد واماكن ومزارات

ووصف ياقوت قرون حماة المعروفة الى اليوم فقال انهما تلتان متقابلتان وجبل يشرف عليها ونهرها العاصي وبين كل واحد من حماة وحمص والمعرة وسلمية وبين صاحبه يوم وبينها وبين شيزر نصف يوم وبينها وبين دمشق خمسة ايام للقوافل وبينها وبين حلب اربعة ايام

وحماة اليوم لواء في الشمال من ولاية سورية ومن اعماله سلمية وقسم من جبال الكلبية او النصيرية وحمص واكثر اراضي هذا اللواء سهلية الا ما كان من انحاء جبل الكلبية ففيه ما في الجبال من سهول وآكام وتربته حسنة وما كان على مقربة من العاصي يسقى منه فينبت فيه القطن والقنب والحرير والعسل (القنار) والخروع وانواع البقول والاشجار وما كان بعيداً عنه يكون مخذياً وخصوصاً في المحال التي يسمونها بالزوار فانها على غاية من حسن التربة وفوة الانبات بما يتوفر القائمون عليها من التسميد

(١) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (٢) بارين بلدة صغيرة ذات قلعة قد دثرت ولها عين وبساتين وهي على مرحلة من حماة وهي غربي حماة بميلة يسيرة الى الجنوب وبها آثار عمارة قديمة تسمى الرفنية لهاذكر شهير في كتب التاريخ وحصن بارين هو حصن احدثه الفرنج في سنة بضع وثمانين واربعمائة ثم ملكه المسلمون وبقي مدة ثم اخربوه .

(٣) زبدة كشف الممالك

الذي يأتون بسيادة من القرى المجاورة بحيث يكون دخلهم منها يوازي دخل اهل حدائق دمشق وبعض قراها مثل كفرسوسة والقابون وجوبر .

وموقع مدينة حماة والعاصي يشطرها والنواعير تئن عن ايمانها وشمائلها من اجمل المناظر ولا سيما في فصل الربيع ومن اجمل النزهات عندهم الركوب في قارب وقطع جانب من العاصي فيرى المتنزه ضفاف العاصي مخضلة بالثمار اليانعة تعكس على المياه خضرتها ونضرتها وليس في حماة ما يستحق الذكر من انواع العمران الا بقايا صناعات قديمة مثل حياكة الافشة للشباب والفوط والستائر والاعبئة والبرانيق (اللبي) وغير ذلك من الامور الحقيرة وليس فيها مدارس اهلية ولا خزائن كتب عامة ولا مطابع ولا صحف يومية اللهم الا مطبعة واحدة وبعض صحف اسبوعية وشهرية لا نسبة بينها وبين مكانة حماة القديمة .

اما آثارها القديمة فأهمها دار اسعد باشا العظم احد ولاة سورية في القرن الثاني عشر وصاحب حماة بني هذا القصر منذ نحو ١٧٠ سنة على اجمل طرز على مقربة من نهر العاصي وزين بأنواع النقوش والتصاوير ويظن ان صناعه كانوا من الفرس لان في نقوشهم كثيراً من النقوش العجمية وبعض الابيات الفارسية ومن ابدع ما رأيناه فيها قطعتان من الخشب جعلتا في حائط الغرفة الكبرى في الدار البرانية ونقشت عليهما صورة حماة [1] في ذاك العهد بجوامعها ومدارسها وتواعيرها وقصورها والناظر اليها يتبين ان المرسوم هو حماة بعينها وانها كانت اذ ذاك اعمر مما هي عليه الآن والغالب ان الزلازل الاخيرة خربتها الا قليلاً . وبالجملة فان قصر ابن العظم في حماة حري بان يزار كقصره في

(١) كان فن الرسم كان مرتقياً في القرن السابع والثامن فقد ذكر ابو الفدا ان الشيخ علم الدين قيصر المعروف بتعاسيف كان مهندساً فاضلاً في العلوم الرياضية (توفي سنة ٦٤٣) بنى للملك المظفر اباجاً بحماة وطاحوناً على النهر العاصي وعمل له كرة من الخشب مدهونة رسم فيها جميع الكواكب المرصودة وعملت هذه الكرة بحماة قال القاضي جمال الدين ابن واصل وساعدت الشيخ علم الدين على عملها وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها ونسألها عن مواضع دقيقة فيها . وجمال الدين هذا هو قاضي القضاة بحماة (٦٩٧) كان اماماً مبرزاً في علوم كثيرة مثل المنطق والهندسة والاصول والهيئة والتاريخ وله عدة مصنفات منها الانبرورية في المنطق صنفها للانبرور (الامبراطور) ملك الفرنج صاحب صقلية لما توجه اليه رسولاً في ايام الملك الظاهر بيبرس الصالحي صاحب مصر والشام سنة ٦٥٩

دمشق وهندسة القاعة هنا وفي حماة واحدة والغالب ان من بنوا هذه بنوا تلك وكذلك النقاشون والمزينون

قلنا ان سكان حماة خمسون الفاً دع عنك من في ضاحيتها من اهيات القرى ومانظن لواء حماة يقل عن اربعمائة الف نسمة لان بعض سكانها مكتوم في الاحصاء الرسمي ولا سيما سكان جبال الكلابية وهم نصيرية واسماعيلية بالنظر لما رأوا من الضغط والشدة في الازمان الغابرة. وفي فضاء العمرانية حصن مصياف وفي فضاء المرقب القدموس وهما من الاماكن المعروفة عند الاسماعيلية ولها ذكر في التاريخ

عَلَى قبر ابي الفدا صاحب حماة

حنانيك اسمعيل اجبني فدتك نفوس الملوك يا عالم وعادلهم وسيدهم . كنت سيف عصرك مثال العمل الصالح وها انت لمن بعدك عبرة لمن يعتبر .

زرت قبرك الشريف وذكرت سيرتك المثلى فبكيت عَلَى الاسلام والعرب وقلت بما قرأته عَلَى ضريحك بين السذاجة الغالية عليك وتخفيفة الالقاب بعدك .

قرأت: « هذا ضريح العبد الفقير الى رحمة ربه الكريم اسماعيل بن علي بن محمود ابن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب عمر في شهور سنة سبع وعشرين وسبعمائة » جملة لايجوز نقشها اليوم عَلَى قبر احد العامة فاين انت منها يا ابا الفدا في مفاخرك وسؤددك ومجدك التالد والطارف

حنانيك اسمعيل كنت في حياتك قدوة الملوك العادلين تعلم الناس حب الخير وتعلم العلماء فيما توفروا عليه والفاتحين ما يفاخرون بمعرفته والحكماء ماهو ثمالة امجادهم وها انت الآن رهين حفرة قد كاد ينسى بين قومك ذكرك فلا تبدي ولا تعيد وقومك نسوا دينهم ودنياهم فكيف لا ينسون رجالهم

نشأت ايها السلطان العادل من بيت عز وملك فلم تأخذ الزخارف بلبك بل تخرجت في العلم وربيت على ادب النفس وادب الدرس حتى جاء منك عالم بل معلم للعلماء بسيرته ونفثته .

نشأت نشأة عالية في القرون الوسطى وغيرك من الملوك نشأوا ولا سيما بعدك نشأة جاهلية عَلَى الخمر والزمر والقمر لا يعرفون غير القصور والولدان والحور وغاية مفاخرهم انهم يبطشون ولا يبالون يقتلون ولا يتألمون يتعاظمون ولا يتواضعون يقضون فلا يراجعون يأمرون ولا يعدلون .

افتحت احكام بعض الملوك بعدك ذوقية واعمالهم على الاكثر استبدادية . اتخذوا الاسلام ديناً وهو منهم بريء وعيشوا بالرخص والعزائم ليس لهم وازع من القسم ولا رادع من اسمهم . اتخموا جبايرة لاملوكاً وشياطين لا انساً وانعاماً لا يعرفون الا مافيه راحتهم وتوفير قسطهم من اللذائذ والبذخ والنعيم .

كنت ايا الفدا ملكاً بالاسم ومملكاً بالفعل كنت شريفاً بماضيك وحاضرك وها انت الى يوم الناس هذا والى غد وما بعد غد شريف في عامة احوالك .

لم نعهد لك كما عهدنا للملوك قبلك وبعدك ان عدديت الرعية كالسائمة التي تملك فيتصرف مالكها بدرها ووبرها وجلدها ولحمها ويعمل مطلقاً في الاستمتاع بها لا ينازعه منازع . بل عهدناك تواسي الضعيف ولا تجور على الفقير وتحسن للعلماء وتفضل على الفقهاء والادباء والشعراء وتصرف فضل اوقاتك في التأليف والتصنيف باثاني المأمون بعملك وعقلك وثاني صلاح الدين بعدلك وجهادك .

ايا الفدا ان قومك اغفلوك وسيرتك بل اهملوا ضريحك ولو ذكروك لساروا ولو قليلاً على سنتك المحمودة فعلمت الملوك من بعدك بسيرتك الطاهرة كما كنت سبقى عصرك خير معلم للملوك العادلين والعلماء العاملين

ايا الفدا ان الملوك بعد عصرك جمعوا كثيراً واضاعوا كثيراً جمعوا فكان ملكك بجانب ما ملكوا جزءاً صغيراً جداً وماخلفوا الا ما تحمر وجوههم خجلاً منه ويأتون في الآخرة وقد شهدت عليهم لا لهم اعمالهم وانت سعدت بمن وليت عليهم وسعدوا بك فأبقيت ذكراً لا تمحوه الايام .

انت علمت الخلق بان القليل مع العقل يستفاد منه اكثر من الجزيل بدونه وان وفرة المال والعقار لا تكون من السعادة في شيء اذا لم تسبقها نفس مهذبة بالآداب والفضيلة وعقل يحسن التصرف بما يملك .

من لي بنظرة منك لترى ما حل بالعرب اليوم من التزيق والتفريق والفساد في المعاش والمعاد والجهل المطبق وضعف العقول . ثم اخلاف من حكمت للذلة وخنعوا للاستبداد وتفرقوا تحت كل كوكب فرقى لهم الصديق وشمت بهم العدو وخانهم الدهر وكل ذلك بما فعله سفهاء الاحلام من امرائهم وعلمائهم انهم كانوا ظالمين .

قم وانظر فقد بدلت الارض غير الارض بعد عصرك . اخترع الافرنج في زماننا البخار والكهرباء ووفروا مرافق الحياة وقربوا الابعاد وحسنوا العيش اما قومك فليس

لم من مدنية القرون الاخيرة الا النظر وزادوا على جهلهم فساداً في اخلاقهم بحيث لم يبق لهم من الامجاد الا ان يعودوا الى صحيفة اجدادهم و يفاخروا بما تم على ايدي امثالك كالقرعاء تفخر بشعر أمها او العجوز الشوهاء لا تفتأ تذكر ماضي شبابها .

قالوا ان نظام الحكومات بعد ايامك ارتقى وانكم كنتم في عصر نقل فيه القوانين الوضعية وكان اكثر العمل بالقوانين السياوية فمن لنا بعصرك فان القوانين الوضعية ارتقت ولكن عند غيرنا من اهل الغرب والقوانين السياوية اعرضنا عنها الا قليلاً فلم نحسن تقليد المقتنين المحدثين ولا احتفظنا بتراث الاقدمين فكنا كالعقعق اراد ان يمشي كالحجل فنسي مشيته ولم يمش مثله بل كنا من الاخسرين اعمالاً

الا عطفة من نظراتك الرشيدة ايها الكريم لننظر امتك الآن الى الانقراض اقرب منها الى البقاء : كل يوم تصغر رقعة بلادها ويتقيفها الخراب و ينقصها من اطرافها تحاول تقليد الراقين من الامم فلا نراها تستطيع الا تقليدها في الموبقات والشرور لا في مقومات الحضارة واساليب النهوض .

رحماك ايا الغدا ان امثالك انفقوا اموالهم واموال الامة في شهواتهم على المغنين والمغنيات والكواعب العانيات وانت انفقتها على العلم والعلماء . انهم اذا كانوا جهلة اغبياء فقد كنت العالم المؤرخ الجغرافي الطبيب الحكيم الفلكي ومصنفاتك شاهدة لك على غابر الدهر بانك عالم الملوك وملك العلماء . خلد اضرابك بسيرتهم صيت بطش وفتك وقطع وقت في البيت وانت اقمت نصاب العدل على من وليت امرهم فكانت ايامك رياض الازمنة وبهجة العصور فجزاك الله عن أمتك اجزل ما يجازي ملكاً صالحاً عن رعيته وعالماً عاملاً يخدم الناس بعلمه وفضيلته

المملكة الحمصية

ربما يستغرب بعضهم اطلاق لفظ مملكة على حمص فقد كانت عظيمة في الجاهلية والاسلام . كانت الشام على عهد الروم مقسومة [1] اربعة اقسام قسم قصبته دمشق وقسم قصبته طبرية وتسمى الاردن وقسم قصبته حمص وقسم قصبته ايليا (القدس) وتسمى فلسطين وكان لهم في كل عمل بطريق من البطارقة يحفظه و بعث الخليفة الاول لما اراد فتح الشام الى كل عمل جنداً وأمر اميراً فبعث الى حمص ابا عبيدة بن الجراح وسميت هذه الاعمال يومئذ اجناداً وكانت قنسرين مضافة الى حمص ثم افردت

(١) نخبة الدهر

الى حمص ثم صار الشام في خلافة الرشيد مقسوماً الى ستة اجناد ثم قسم في الدولة التركية الى تسعة اقسام منها قسم مملكة الثغار والارمن والروم وانفصل عن الشام وسمي روماً .

وكانت اقاليم حمص [1] عبارة عن اقليم حماة واقليم شيزر واقليم فامية واقليم معرة النعمان واقليم صوران واقليم لطامين واقليم تل منس واقليم الغلاس واقليم كفر طاب واقليم جوسية واقليم لبنان واقليم الشعرة وخمسة اقاليم الثمة واقليم البلعاس واقليم البارة واقليم الرستن واقليم زمين واقليم القسطل واقليم سلمية واقليم عقبرتا واقليم الجليل واقليم السوبداء ورفنية وتدمر . وخراج حمص ثلثمائة الف واربعون الف دينار

وكان يحد عمل حمص في القرن الثامن من القبلة قرية القصب [2] المجاورة لقرية جوسية — وجوسية — من كور حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق تمر بها السكة الحديدية بين بعلبك وحمص وهي بين جبل لبنان وجبل سنير [3] (قلمون) — آخذاً هذا الحد الى النبك الى القريتين ومن الشرق السماوة الى الفرات ينتهي الى مدينة سلمية ولها قلعة لثغار بها تعرف بشميش ومن الشام ماءين سلمية الرستن ومن الغرب نهر الارنط وهو العاصي ومدينة هذه الصفقة حمص وهي دار ملك البيت الاسدي ولم يزل للملكها في الدولة الاسلامية سطوة تخاف وبأس يحذر وبها القلعة المصمتة ولا منعة لها وبناية جليلة وعسكر وتشتمل هذه الصفقة على ولاية قارا وهي قبلي حمص وولاية مدينة حمص نفسها وولاية سلمية وولاية تدمر وهي بين القريتين والرحبة .

هذه المدينة العظيمة التي كانت مملكة وولاية الى القرون الوسطى ضعفت في القرون الحديثة حتى اصبحت اليوم قضاء من عمل حماة واما تاريخها قبل الاسلام فقد ورد ذكرها في مصنفات بلين الروماني باسم امیزا (Hemisa (Emèse

وذكر الحمصيون قبل عهده في جملة سكان الخيام Scénites الذين قاتلهم الرومان ومن مشاهير حمص قبل الاسلام هليو كابال رو باساتيوس الكاهن الاعظم في معبد الشمس (بعل) في حمص الذي بويع امبراطوراً رومانياً سنة ٢١٧ وقد استولى الصليبيون على حمص سنة ١٠٩٩ م .

ولحمص وجند حمص ذكر كثير في كتب الفتوح [4] منها ان اهلها صالحوا ابا عبيدة

(١) ابن خرداذبة (٢) ابن فضل الله العمري (٣) ياقوت الحموي (٤) فتوح البلدان للبلاذري

على مائة الف وسبعين الف دينار وذلك لان الحصبين كانوا متخوفين لهرب هرقل عنهم وما كان يبلغهم من كيد المسلمين و بأسهم وظفرهم فامنهم الفاتح على انفسهم واموالهم وشور مدينتهم وكنائسهم وارحائهم وا. تثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا المسجد واشترط الخراج على من اقام منهم وقسمت حمص خطتاً بين المسلمين حتى نزلوها واسكنهم عاملها السمط بن الاسود الكندي في كل مرفوض جلا اهله او ساحة متروكة و كانت مدينة حمص مقروشة بالحجر فلما كانت ايام احمد بن محمد بن ابي اسحاق المعتصم بالله شغبوا على عاملهم الفضل بن قارن الطبري اخي مازيار بن قارن فامر بقلع ذلك الفرش فقلع ثم انهم اظهروا المعصية واعادوا ذلك الفرش وحاربوا الفضل بن قارن حتى قدروا عليه ونهبوا ماله ونساءه واخذوه فقتلوه وصلبوه فوجه احمد بن محمد اليهم موسى بن بغا الكبير مولى امير المؤمنين المعتصم بالله فحاربوه وفيهم خلق من نصارى المدينة و يهودها فقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم باقيهم حتى الجئهم بالمدينة ودخلها عنوة وذلك في سنة ٢٥٠ . قال البلاذري وبحمص هري[٢] يرده قمح وزيت من السواحل وغيرها مما قوطع اهله عليه وسجلت لهم السجلات بمقاطعتهم

وفرش طرق حمص بالصخر قديم جدد مرات قال ابن حوقل ان جميع طرق حمص من اسواقها وسككها مفروشة بالحجارة والبلاط وذكر الجغرافيون (١) من حسن بناء حمص انه لا يوجد بها دار الا وتحتها في الارض مغارة او منارتان وما لا ينبع للشرب وهي مدينة فوق مدينة . وقال بعضهم ان مدينة حمص هي سوريا وكان بها مرصدان اشبه بالمرصد الذي كان عند عين الهرمل وهو من مراصد الصابئة .

قلنا ان الفاتح صالح اهل حمص على ربع كنيستهم للمسجد وقد ظلت كذلك الى القرن الرابع (٢) وبعض بيعتها المسجد الجامع وشطرها للنصارى فيه هيكلهم ومذبحهم وبيعتهم من اعظم بيع الشام . وقد دخلها الروم في الاسلام مرات واخربوها واتوا على سوادها وزاد اختلالها بعد دخول الروم اليها ثم ان قوماً استوطنوا ممن سلم من الروم فاتت البادية عليهم تأكل زروعهم كما كان يحدث ذلك لها الى عهد غير بعيد حتى القرن الماضي .

سكان حمص والحيثيون

الارجح ان سكان هذه البلاد مزيج من امم مختلفة باختلاف الفاتحين ففيهم دم من

(١) شيخ الربوة (٢) ابن حوقل (٣) بالضم بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان

معظم الاجناس التي حكمت هذه البلاد واهم عناصرها الحثيون والروم والعرب فما « وقع في ديار كلب (١) من القرى تدمر وسلمية والعاصمية وحمص وهي حميرية وخلفها مما يلي العراق حماة وشيزر وكفرطاب لكنانة من كلب » وحمص كدمشق وما يليهما ديار غسان من آل جفنة وغيرهم .

اما الحثيون (٢) فهم جنوبيون وشماليون وكان الجنوبيون في جهات فلسطين والشماليون نزلوا اولاً جبل اللكام « اماتوس » ثم انتشروا بكرور الايام من الفرات الى حماة وحمص ومن دمشق وبرية تدمر الى كبدوكيا . ويظهر من الآثار المصرية انه لم يكن لهم ملك واحد بل كان لكل فصيلة منهم ملك

ولم يعرف شيء عن الحثيين الشماليين قبل ان يمر الرحالة بروكهارت الانكليزي بحماة سنة ١٨١٢ ويرى على جدار ازقتها خطوطاً قديمة بالخط المسند المصري اي الهيروغليفي تختلف عن الآثار المصرية ثم جاء بعده بعض رحالة من الاميركان والانكليز . واخذ العلماء بالتنقيب عن امثال هذه الآثار فعثروا على كثير منها في حماة وحمص وحلب ومرعش وكركميش (ايرابوليس) وفي كبادوكيا وفي محال اخرى من آسيا الصغرى وقد علم من هيئة وجوه الحثيين الشماليين على ما رسموا في الآثار المصرية انهم اقرب الى الروتانو (كذا تسمي الآثار المصرية شعباً كان يسكن سورية الشمالية قبل الحثيين او في جانبهم) منهم الى سكان فلسطين ولون وجوههم ابيض ضارب الى الحمرة .

قلنا ان اول محل احتلوه اودية جبل اللكام ثم اخذوا يبسطون ولايتهم شيئاً فشيئاً نحو الشرق والجنوب حتى اتصلوا شرقاً الى الفرات فاستحوذوا على كركميش وغرباً الى وادي العاصي فاستولوا على حماة ثم على قادس في جانب حمص ثم غالبوا الآراميين في دمشق نفسها فحكموا فيها مدة وبسطوا سلطانهم في وقت غير معلوم الى الشمال والشمال الغربي حتى ضبطوا آسيا الصغرى

وقادس كانت في برية حمص (٣) وقد صورت على الآثار المصرية لان رعمسيس الثاني احد فراعنة مصر حاصرها ايام غزا فراعنة الدولة الثامنة عشرة سورية وبلاد اشور مرات ثم ضعفت مصر في آخر ايام هذه الدولة فنبذت سورية وفلسطين طاعتها

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني (٢) تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس

(٣) في قدس قال ياقوت انها بلد بالشام قرب حمص من فتوح شرحبيل بن حسنة واليه تضاف بحيرة قدس

وكان الحثيون في هذه الاثناء تغلبوا على الروتانو في شمالي سورية واجلوهم من عقر دارهم وانضموا في مملكة واحدة فسيحة الارجاء تنبسط من شاطئ الفرات الى جبل طوروس والى البحر المتوسط وتمتد جنوباً الى قادس بل الى دمشق ايضاً

اخفق رعمسيس الاول في اعادة سورية الى طاعته لان خصومه فيها كانوا قد جمعوا شملهم وقد لاحظ مسبرو في تاريخ الشرق ان الفراعنة لم يكونوا الى تلك الايام يعتبرون ملوك سورية بمنزلة ملوك مأ تابعين لهم او يمازلون اقد صلح معهم بل كانوا يحسبونهم امراء ينكلون بهم اوعصاة يجرون عقابهم وكانت نهاية الحروب معهم صاغرين دون شرط او تدبير هم التام

والظاهر من الآ ثار ان ساتي الاول ابن رعمسيس اراد ان يستبيح حمى الحثيين فقاتلهم قرب العاصي على قلعة قادس وطالت الحرب الضروس وتعددت المواقع الى ان افتتحها المصريون واستتبت الحثيون في الدفاع حتى ا يبوا فرعون فاضطر ان يوقع على عهدة صلح مع مونتار ملكهم عهدة صمحت له سلامة ملكه حتى ردت عليهم قادس مدينتهم وبعد حروب طويلة على عهد رعمسيس الثاني مع الفينيقيين وقد كانت الامتان المصرية والحثية من اعراق الدماء وعقدتا عهدة صلح وجدت صورته منقوشة على ظاهر جدار هيكل الكرنك بمصر انقطعت سائر الغزوات بين المصريين والحثيين مئة سنة وتزوج رعمسيس ابنة ملك الحثيين فتوطدت دعائم الوفاق بين الشعبين

و بتلخص من اخبار تغلت فلازار الاول ملك نينوى وكان نحو سنة ١١٣٠ ق م انه كان للحثيين في عهده صولة كبرى في شمالي سورية خاصة حتى كانت البلاد تسمى باسمهم اي بلاد الحثيين وكانت ولايتهم تمتد من لبنان الى الفرات وكانت بلاد الآراميين خاضعة لسلطانهم وتبسط ولايتهم شمالاً الى مدخل البحر الاسود فتؤدي اليهم الجزية قبائل كبادوكيا (في آسيا الصغرى) وكانت عاصمة الحثيين كركميش . وكانت كركميش هذه في محاربة الاشوريين للحثيين ما كانت قاوس في محاربة المصريين لم فكانت قادس حصناً منيعاً يحتفر طريق آسيا في وادبه العاصي وكركميش مثلها على الفرات ونفضلها بانها كانت محطة تجارة ايضاً بين مغرب آسيا ومشرقها .

وقد اكتشفت آثار مدينة كركميش سنة ١٨٧٥ وكان اسمها عند العرب جرابولس ويسميها الاتراك جرابيس محرف هيرابولس اي المدينة المقدسة وموقعها على الفرات في الشمال من نهر الساغور المعروف الآن بالساجور وفي الشرق من حلمان او حلفان وهي

حلب ومن خرزاز المعروفة الآن باعزاز في قضاء كلس وفي الجنوب من بلاد كمكومًا المعروفة الآن بلقيس فهي نحو الشرق من حلب واعزاز وعلى ضفة الفرات الغربية وعلى بعد ثلاث ساعات تحت الساجور وست ساعات من البيرة .

جدد شلمناصر ملك اشور حملات ابيه على الحثيين بل قضى اكثر مدة ملكه يحاربهم ومن جاورهم . وكان من عادة الحثيين ان يرسموا خطوطهم نائتة لا محفورة فتطرق من الوراء على صفائح معدنية لتنتأ الحروف في جهتها الاخرى هكذا كانت عهدتهم مع مصر مكتوبة على صفيحة من فضة ونقرأ هذه الحروف تارة من اليمين وتارة الى الشمال وتارة بالعكس فان كانت رؤوس الحيوانات المصورة بها متجهة الى اليمين فنقرأ منها وكذلك ان كانت الى الشمال ونقرأ احياناً من اعلى الى اسفل ومن اسفل الى اعلى . واما اللغة المكتوبة فيها هذه الخطوط فيرجح انها ليست من اللغات السامية فالاعلام المذكورة في الآثار المصرية والاشورية قل فيها ما يمكن رده الى اصل سامي

واشتهر الحثيون بالنحت كما تشهد لهم آثارهم الباقية ولا سيما في حصون بوغازكوي وايوق في آسيا الصغرى واتقنوا فن تحصين الحصون واستخراج المعادن وصناعة تحويل الحديد فولاذاً وقد اخذ اليونان اشياء كثيرة في صناعتهم عن الحثيين . قال سايس في كتاب الحثيين ان مصدر فلاح اليونان هو الحثيون الذين افتتحوا آسيا الصغرى من اقدم العصور ويظهر ان صناع الحثيين الفوا من صناعة مصر ونينوى وبابل اسلوباً خاصاً بهم واخترعوا صوراً منها النسر ذو الرأسين الذي صار بعد ذلك شعاراً للسلاطين السلجوقيين ولبعض ملوك اوربا اما ديانة الحثيين فيظهر انهم اقتبسوها عن بابل وبثوها في سورية وآسيا الصغرى وتطرقت الى بلاد اليونان فان معبودات البلاد المذكورة واحدة وان اختلفت اسماً .

نبذة في عمران حمص

ليس في الايدي مصادر يعتمد عليها لاصدار حكم مسمط على عمران حمص في القرون المختلفة وغاية ما يفهم من روايات مؤرخي العرب وجغرافييهم ان حمص في الاسلام كانت عامرة وان الزلازل اضرت كثيراً بعمرانها وان مدينة الرستن من الشمال وجوسية من الجنوب والقريتين ومهين وحوارين وتدمر من الشرق كانت من اهم عمالاتها قال ابو نخيلة يمدح بني العباس ويشير الى انهم دكوا آثار الامويين في الشام :

وامست الانبار داراً تعمر وخربت من الشآم ادور

حمص وباب التين والموقف ودمرت بعد امتناع تدمر

والموقر حصن بالبلقاء وكان ينزله الامويون وكذلك حمص وباب التين وتدمر وانا اذا اخفنا عباب معجم البلدان نقرأ فيه اسماء مدن كثيرة اكثرها دائر اليوم فمنها مدينة « المؤتفكة » كانت بقرب سلمية وعلى آثارها بنيت هذه وسلمية اليوم لحمص قضاء من اعمال حماة ومنها « مرتبين » وهي من قرى حمص بين الرستن وحماة معروفة الى اليوم و « مرقية » قلعة حصينة في ، واحل حمص كانت خربت فجددها معاوية ورتب فيها الجند واقطعهم القطائع و« لطمين » كورة بحمص ولها حصن و« كفر نغد » ولعلها كفرنان و « الفرشية » قرية بساحل حمص وهي آخر اعمالها و « نوز » من قرى حمص ولعلها محرفة عن فيروزة و « غثير » واد بين حمص وسلمية والشام في قول ابي الطيب :

غطا بالغثير البيداء حتى تحيرت المنالي والعثار

و « عقيربات » ناحية بحمص لا تزل موجودة و « الطوبان » و « صوران » اسم كورة بحمص وجبل و « شيزر » بينها و بين حماة يوم كانت تعد في كورة حمص و « سلمية » كانت تعد من عمل حمص كذلك و « رفنية » كورة ومدينة من اعمال حمص يقال لها رفنية تدمر ، و « الرستن » قرية مشهورة قال ياقوت : بليدة قديمة كانت على نهر المياماس وهذا النهر هو اليوم المعروف بالعاصي الذي يمر قدام حماة والرستن بين حماة وحمص في نصف الطريق بينها آثار باقية الى الآن تدل على جلالتها وهي خراب ليس بها ذو سري وهي في علو تشرف على العاصي . و « دير مياماس » بين دمشق وحمص على نهر يقال له مياماس واليه نسب وهو في موضع نزه . ولعله المتنزه الذي يقال له المياماس اليوم ظاهر حمص و « دير مسحل » بين حمص وبعلبك لا يعرف اليوم ولعله بعض الخرب التي لم تشتهر الا عند سكانها

و « دير باعتل » غير معروفة وهي « من جوسية على اقل من ميل وجوسية من اعمال حمص على مرحلة منها على طريق دمشق وهو « الدير » على يسار القاصد لدمشق وفيه عجائب منها آزج ابواب فيها صور الانبياء محفورة منقوشة فيها وهيكل مفروش بالمرمر لا تستقر عليه القدم وصورة مريم في حائط منتصبة كاملات الى ناحية كانت عينها اليك » و « دنوة » كانت من قرى حمص بها قبر عوف بن مالك الاشجعي من الصحابة سألت عنها فلم يعرفها احد مع ان قبور الصحابة والصالحين معروفة في الاكثر ولعلها في الوهم فان وعر حمص كثير فيه آثار مبعثة وهو يمتد من حمص الى قرب طرابلس واكثره

وعن ومن حمص الى قرب حماة فما بعد و « دير اسحاق » غير موجود وهو بين حمص وسلمية في احسن موضع وانزهه وبقربه ضيعة كبيرة يقال لها جدر التي ذكرها الاخطل فقال :

كأني شارب يوم استبد بهم من قرقف ضمنتها حمص او جدر

ولاهل القصف والشعراء فيه اشعار كثيرة :

و « حوط » قرية بحمص او بجبلة من ساحل الشام غير معروفة و « الحص » غير موجودة وهو « موضع بنواحي حمص تنسب اليه الخمر قال ابو محجن الثقفي :

اذا مت فادفني الى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفنني بالفلاة فانني أخاف اذا ما مت ان لا اذوقها

وتروي بخمر الحص لحدي فانني اصير لها من بعد ما قد اسوقها

وكانت « انطرطوس » اول اعمال حمص وهي من سواحل بحر الشام وكذلك « افامية » كورة من كور حمص على الساحل و « اعناز » بلد بين حمص والساحل . وعن ابن واضح « معرة النعمان » و « تل منس » وما والاها من اقليم حمص . و « الجبل » كورة بحمص و « بيرين » من قرى حمص و « بانياس » كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر . و « بكسرائيل » حصن من سواحل حمص مقابل جبلة

هذه هي حمص وبعض ما عثرنا عليه من اشماء قراها واعمالها اما اسماء قراها الاميرية فاليكها الآن وعددها ١٣٧ قرية ننقلها عن سجلات الحكومة :

ابودالي . امحارتين عتيق . ام شرشوح . ام القصب . ام حارتين بهودية . ابو همامة (الاصل ابو امامة ونسبته الى الصحابي المدفون بها) اكوم وعيان . ام العظام . آبل . اكراد دياسته . اعور . ام دولاب . باباعمرو . باقسه . برابو . بريج . بتيسه . بويضة شرقية . بوير . برج قمية . تلعمري . تليسة . تلدو . تلدهب . تارين . تيرمعلة . تسنين . تلبي مندو (تل النبي مندو قبلي حمص الى الغرب عند مصب العاصي على البحيرة) . ثونه (وقف جامع خالدبن الوليد) تليل . جرنايا . جوبانية . جوسية (قبلي حمص منها خراب وعمار فالعمار من سكة الحديد الى الزب والخراب في الشرق وهي البلدة الاصلية) . جديدة شرقية . حفر . حام . حلاموز . حوارين . حداثة . حيصة . حاويك . حديدة العاصي . حوز . حسية . حميديه . حميمة . خربة السودا . خربة حام . خربة تين نور . خربة تين محمود . خربة غازي . دخنة . دبين . دير بعليه . ديرفور . دمينة شرقية . دوير .

دار الكبيرة . دلبوز . دمينة غربية . رستن . رام العنز . ريلة . ريان . ربيعة . رأس العين . زورغربي العاصي . زور الموح . زعفرانة . زيتة وبويضة غربية . زراعة . زيدل . زور بقرايا . زيتا البحيرة . سمافيات غربية . سمافيات شرقية . سمليل . سكرة . سقرجه . شنشار . شمسين . شومرية . شيخ حميد . شرقلية . صيادية . صنون . صدد . حفر . طيبة . عين خاط . عين حسين . عزالدين . عامرية . عسيلة . عرقابة . عيصون وشلوح . عرجون . غزيلة . غجرامير . غشر . غنطو . غور . فيروزة . قطينة . قريتين . قنافيه . قزحل . قيرانية وحوش السيد علي . قصيرميري . قره وشر (ولها اسم ثان وهو تل الاور) كفريا . كفرعايا . كفرموسى . كفرلاها . كفرهيدي . كفرنان . كام . لفتايا . مجيدل . مشيرفة . مسكنة . مهين . مودان . مباركية . مرج القطا . مرج بولاد . منقطع . متعارض . معيصرة . مطيرية . نويجة . ناعم . انقيرة . هرقل . هبوب الريح . هيت . وجه الحجر . بويت

وهناك اراض كانت للسلطان المخلوع عبدالحميد ثم أديرت الى الخزينة وهاك اسماءها : قرية قصيرورمزون دباية . خربة الضبعة . كوكران . دحيرج . هزة . مضايع . عباسية . صايد . فرقلس . برهانية . بلها . رقامة . منزول . شعيرات . وازعية . حربة . عزيزية . حمرات . وهيب . دردغان . عاليات . لحيلة . تلة الناقة . خرابة قنية . فيضة . بسية . حولاية . دوبليب . مخرم فوقاني . مخرم تحاني . تل الطويلة . سلمية . نوا . حميدية حمام العمد . شوكتية . جهنم . وريدة . جب عباس . تل الاغر القبلي . جوسة الخراب (قبلي الخط الحديدي وغربيه) . ام التين . سنكري شمالي . سنكري قبلي ام العلب . تل الورد . دويعر شرقي . دويعر غربي . مسعودية . ام السرج شمالي . ام السرج قبلي . ام الجباب . جنينات . حراقي . لثنان وام قدوم . قطيع العرنوق . عيون حسين . مسيعيد . مكسر الحصان . هبرة غربي . هبرة الشرقية (ولها اسم آخر مزرعة هنداوي) . مزرعة جب الجراح . مزين البقر . تلول الهوا . رحوم . مزرعة ام صهيريج . مشيرفة . ام جامع

هذه اسماء قرى حمص وخرائبها وبعضها بعيداً عن مركز الحكومة وخرب لعبث البادية فيه مثل القريتين مثلاً فلوجعات القريتين قضاء معه بايصالها من القرى والمزارع وكذلك جب الجراح لزاد العمران والسكان لا محالة وخصوصاً اذا اباعت الحكومة مزارعها وخربها من الاهلين ببدل المثل اذاً لاشتراها الحمصيون انفسهم لان من اهلها من هو غني

جداً يتساوى في ذلك مسلموهم ومسيحيوهم فالزراعة بيد المسلمين والتجارة بيد المسيحيين وكثير من الفريقين هاجروا الى مصر واميركا فاغتنوا وتأثلوا حتى ان اهل حمص سموا لهم مدينة باسمهم في الولايات المتحدة عَلَى نحو ماسمى جندهم مدينة باسمهم يوم فتحوا بلاد الاندلس .

قال ياقوت ان في حمص مدارس وقال ابن جبير ان بها مدرسة واحدة وليس بها مستشفى عَلَى رسم مدن هذه الجهات مثل حماة وغيرها اما اليوم فليس بها مدارس دينية مهمة فيما علمت سوى بعض مدارس للعلوم الدنيوية مثل مدارس الروم والكاثوليك والبرتستانت وبعض مدارس حديثة اهلية أنشئت للمسلمين وبها مدرسة رشدية اميرية وبها مطبعة اسمها حمص تطبع جريدة حمص وجريدة جادة لرشاد وغيرها . وثلث اهل حمص غير مسلمين والباقون مسلمون وكان اهلها كما قال ياقوت « من اشد الناس عَلَى علي بن ابي طالب فلما انقضت تلك الحروب صاروا من غلاة الشيعة حتى ان في اهلها كثيراً ممن رأى مذهب النصيرية واصلهم الامامية » اما ماقاله كثير من المؤرخين والعمرانيين في ان البله يكثر في اهل حمص منذ القديم فهو مشهور عن عامتها لا عن خاصتها فقد اشتهروا بذلك فصار يتناقل عنهم القرن بعد القرن وما خلا قرن فيها من خاصة فضلاء عقلاء ودليل عقلهم اليوم انهم كانوا بعد الدستور اسبق البلدان السورية الى ورود حياض المدنية وقد انتفعت بلدهم بمد السكة الحديدية العريضة الممتدة منها الى طرابلس وكانت البضائع تصدر منها وترد عَلَى الجمال والبغال والمركبات والحوافل وسيزيد عمرانها يوم يمتد منها خط حديدي ضيق الى تدمر ويجيئها السياح بالالوف وتحمل اشعة المدنية والامن الى تلك الربوع في الداخلية وتعيد الى تدمر وارياضها عهد زنوبيا

يوم في بحيرة قدس

من يزور حاضرة من الحواضر ولا يشهد ريفها وقراها تظل معلوماته عنها قليلة ويظل مقلداً فيما يكتبه وما كان المجتهد كالمقلد سواء في شؤون الدين والدنيا . دعاني صديقي وصفي افندي الاتاسي الى قريته قره وشر فركبت واياه عربة حتى وصلناها في ساعة وهي في جوار بحيرة قدس فجمعنا بين ثلاثة امور نافعة الرياضة في الخلاء والاطلاع على نموذج من قرى حمص وزيارة تلك البحيرة التي كان لها ذكر في تاريخ سورية القديم كما نسمع اليوم باسم خزان أسوان في مصر للتشابه بينهما فخزان حمص يسقي تلعات وادي العاصي وخزان أسوان يسقي تلعات وادي النيل .

وطول هذه البحيرة الصناعية ساعتان وعرضها ساعة وقد نسبت لقدس عاصمة الحيثيين اوقدشو عاصمة الحثيين الثانية بحجازها العاصي وهي بعدودة من مسافة كيلومترين وهناك برج قديم على التل الحالي الشرقي وعدة قرى .

وقد وصف جغرافيو العرب هذه البحيرة فقال شيخ الربوة ان بحيرة حمص وهي بقعة محفوفة ببناء جص محكم وفيها امساك كثيرة كبار ثم يخرج منها الماء عكراً مثل ماء النيل ولا يصفو بعد ذلك الى ان يدخل ارض الروج ويصل الى السويدية ويصب في البحر الرومي . وذكر ياقوت ان طولها اثنا عشر ميلاً في عرض اربعة اميال وهي بين حمص وجبل لبنان تنصب اليها مياه تلك الجبال ثم تخرج منها قصير نهراً عظيماً

وقال ابو الفدا ان طولها من الشمال الى الجنوب نحو ثلث مرحلة وسعتها طول السد وهي مصنوعة على نهر الارنط فانه قد صنع في طرف البحيرة الشمالي سد بالحجر من عمارة الاوائل وينسب الى الاسكندر وعلى وسط السد المذكور برجان (الآن برج واحد) من الحجر الاسود وطول السد شرقاً وغرباً الف ومائتان وسبعة وثمانون ذراعاً وعرضه ثمانية عشر ذراعاً ونصف ذراع وهو حابس لذلك الماء العظيم بحيث لو خرب السد سال الماء وعومت البحيرة وصارت نهراً وهي في ارض مستوية وهي عن حمص بعض يوم في غربيها ويصاد بها السمك اه .

اذكر لي هذه البحيرة او السد او الخزان بما في بلاد الشام من الانهر والخلجان والبحيرات الكثيرة التي يذهب ماؤها بداداً ولا ينتفع به في السقيا وقد كان القدماء اعرف بما ينفع من هذا التبيل من اخلافهم سكان هذه الديار اليوم وذلك على قلة ما كان في عهدهم من الادوات التي احدثتها مدنية الغرب وتقدم فنون الحيل (الميكانيك) والهندسة والبناء . ولذلك رأينا اعمال اسلافنا شاهدة على الدهر بعظمتهم وان عقولهم كانت ارقى من عقولنا واعمالهم انجم من اعمالنا

في سورية انهار كثيرة تجري ولا ينتفع بها من سكان الجوار فلو وقع الانتفاع بمياه نهر القرات والعاصي وابراهيم والاردن والليطاني والازرق كما ينتفع بمياه نهر الكلب وبردى والاعوج مثلاً لاخصبت كثير من الاراضي التي تحرم من المياه اليوم وكان في المكنة ان تسقى سيحاً وتغرس فيها انواع الاشجار

لا تشكو سورية في عمرانها قلة الايدي العاملة ولا النفوس الذكية ولا قلة الخصب وسعة الرباع والاصقاع ووفرة الامواه وجودة الاهوية بل انها تشكو من قلة من يفكر

في الانتفاع من ثروتها الطبيعية ولو كانت هذه الحكومة تفكر في عمران بلادها على الاقل عَلَى مستوى ما تفكر روسيا مثلاً من دول الارض لاصبحت سورية في بضع سنين من اعمر الاقطار تشبه المانيا والنمسا وفرنسا ان لم تفقها لاعتدال الفصول الاربعة فيها. ولكن جرت الاقدار بان يتراجع عمرانها حتى اصبحنا بعد ان كانت سورية انبار العالم في الحبوب ونحن نجلب الدقيق من روسيا وآسيا الصغرى واميركا وفرنسا والحكومة ساهية لاهية لا يهمها الا قبض الضرائب والعشور ولو اوشكت البلاد ان تبور وفي المثل الفرنسوي ان الاراضي تغل عَلَى نسبة اقتدار من يقوم عليها

Tant vaut l'homme tant vaut la terre ولا عبرة في الثروة الا بما استخرج من كنوز الارض الا بما كان مذخوراً في عالم القوة

المملكة الطرابلسية

كانت طرابلس الشام ايضاً مملكة ايام حكومة الاقطاعات كما كانت صفد والكرك وحماة وغيرها من مدن سورية وكانت مدينة طرابلس او اطرابلس باثبات الف في اولها في رواية اعظم مدن هذه المملكة بل كانت طرابلس في القرن الرابع كما قال المقدسي اجل من صيدا وبيروت وذكر الظاهري ان طرابلس مدينة حسنة بها جوامع ومدارس واسواق وحمامات وعمائر حسنة وهي عَلَى شاطئ البحر المحيط يقال انها شامية مصرية لحسن هيئتها وكانت عَلَى عهده تشتمل عَلَى عدة مدن واقاليم وقلاع وقرى ومن جملة اعمالها قلعة صهيون في جبال الكليبة وقلعة المرقب وحصن الاكراد وقلعة قدموس واللاذقية وجبلة والكهف والرداقة وما والاها من القرى وتشتمل هذه المملكة الطرابلسية وتوابعها فيما قيل عَلَى قريب من ثلاثة آلاف قرية

وسمى شيخ الربوة مملكة طرابلس بمملكة الساحل وكرسيها طرابلس المستجدة بعد فتح طرابلس الشام بجيش المسلمين في مملكة الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي قال: وبنيت هذه المستجدة في سفح ذيل من اذيال جبل لبنان بكورة من اكوار طرابلس بعدها عن طرابلس القديمة الخروبة نحو من خمسة اميال عَلَى شاطئ نهر يجري الى البحر (١) وهي سهلية جبلية بحرية برية يتغلل الماء في جوانبها ولها قنطرة عَلَى واد بين جبلين يمر عليها الماء من منبعه اليها في ارتفاع نحو سبعين ذراعاً وطول هذه القنطرة نحو من مائتي ذراع والنهر يجري من تحتها الى سقي الاراضي ويصب في البحر الرومي

(١) يقال له اليوم نهر ابو علي وكان يعرف قديماً بنهر قاديشا اي المقدس

ولا يكاد يوجد فيها دار بغير شجر لكثرة تحرق ارضها بالمياه وهذا النهر ينبعث من جبل لبنان . وقد جمعت في بساتين طرابلس من الفواكه ما لا يوجد في سائر الاقاليم اصلاً فصب السكر والجميز والحمضات الكثيرة الزائدة والناس الذي لا يوجد مثله والثلج وسمك البحر الطري والطير الكثير ومجموعها لم يجمع في بلد غيرها ومن بلادها واعمالها الساحلية البترون وهو حصن من فتوح الملك المنصور وله عمل متسع وأنفة مدينة ساحلية محكمة البناء وانطرسوس مدينة ساحلية

وعدد من اعمال طرابلس حصن عرقا وحصن حليا قال ولها عمل متسع به ولايات ومراكز ومن اعمالها جبون ومنه رجليه (؟) والحصن خراب في عصره ومدينة مرقية (مرقب ؟) وجومة عكار اي كورة عكار وجومة بشمريه والكورة والحدث بازيال لبنان ولها اعمال يزيد عددها على الف قرية . وحصن عكار (١) حصن منيع من بناها الاسلام ينصب اليه ماء من الجبل المطل عليه و يدخل الى القرية وحصن الاكراد حصن منيع مشرف بين الشام والساحل ينظر الناظر منه الى الشام وقارى والنبك ويعلبك والى البحر والساحل .

قال ومن اعمال طرابلس المستجدة قلاع الدعوة وهي التي ملكها راشد الدين محمد تليذ علاء الدين علي صاحب الالموت في البحر وهو صاحب الدعوة الاسماعيلية والحصون هذه هي حصون الخوابي وحصن الكهف وحصن القدموس وحصن العليقة وحصن المنيقة (البقيعة ؟) وحصن الرصافة بازيال طراز من جهة الشام وحصن ابي قبيس وثغر مصياف وهو اهم هذه الثغور في اظهار الدعوة وارسال الرجال الفداوية الى البلاد والاقاليم في قتل الملوك والاكابر وحصن بلاطنس حصن منيع جداً وله احد عشر باباً كل باب فوقه باب وحصن المرقب ثغر منيع على رأس شاهق مطل على البحر كبير مثلث الشكل بناه الرشيد على اثر بناء قديم ثم بناه الصاري ثم ملكه المسلمون في عصره وعمروه وحصن صيون حصن منيع عادي قديم البناء يقال انه من بناء أغسطس ملك رومية الكبرى المسمى قيصر وليس هو اغسطس صاحب التاريخ اليوناني وهذا الحصن صعب المرتقى على قمة جبل وعليه خمسة اسوار وله فرضة في الساحل في طرف دخله من الارض كالجزيرة من البحر

وذكر ان اللاذقية محاطة بالبحر من جهاتها الثلاث وهي اشبه بالاسكندرية في بنائها

(١) جبل عكار هو بريجليوس القديم

وبارضها معدن رخام ابيض واخضر موشى وبها دير الفارس من اعجب البناء في الديورولة يوم في السنة تجتمع النصارى اليه والمينا الذي باللاذقية من أعجب الموانى في البحر واوسعها لايزال حاملاً للسفن الكبار وعليه سلسلة من حديد حاصرة لمراكبه مانعة من مراكب العدو وفرضة بلاطنس مدينة جبلة بن الايهم الغساني جددت باسمه في صدر الاسلام وكانت مدينة عادية بناها الصابئة وفيها آثار مقر الملك الذي كانوا اصطلحوا عليه في زمن نوح وابراهيم وموسى عليهم السلام وكان له مسرب يركب الراكب فيه تحت الارض الى ظهر السفينة بالبحر ويركب في السفينة الى وسطه تحت الارض محجوباً .

وعد من عمل طرابلس مدينة بانياس فقال انها مدينة عبرانية يونانية رومية وبها انهار سابحة قريبة المنبع و بساتين كثيرة من اعجب بساتين الساحل وذلك ان حيطان البساتين متصلة يضرب موج البحر بغير حائل وبين بانياس وجبلة جزيرة صغيرة عند نهر غزير يسمى النهر الابتر وسمي بذلك لقصر جريته وقلة الانتفاع فلا يتشعب منه شعب ولا يتفرع فروع مع غزارته وقوته وعلى الجزيرة دمن حصن يقال له بلدة كان من احسن الحصون بناء وخربه اهله بايديهم دون غيرهم ودخلوا البحر من غيظهم بعضهم على بعض وهذه الجزيرة من اعجب الجزائر شأناً بالماء وذلك ان البحر محيط بنصفها واكثر والنهر محيط بالنصف الذي الى البر والماآن مختلطان فالنصف ملح اجاج والنصف عذب فرات وهما في النظر ماء واحد محيط به من سائرها . ومن اعمال طرابلس ايضاً البقيعة هي الحصن والناعم وجبال القصيرية نحو عشرين عملاً بين صهيون واللاذقية والى البترون والعاقورة

هذا وصف مملكة طرابلس وعملها في القرون الوسطى وحدها ابن فضل الله فقال من القبلة جبل لبنان ممتداً على ما يليه من مرج الاسل . حيث يمتد نهر العاصي ومن الشرق نهر العاصي ومن الشمال قلاع الدعوة ومن الغرب البحر وبلاد طرابلس لها قلاع وولايات فذكر من قلاعها حصن عكار وحصن الاكراد وكانت محل النيابة ومقر العسكر قبل فتح طرابلس وبلاطنس وصهيون ثم قلاع الدعوة وهي العليقة والمنيقة والكهف والمرقب والقدموس والخوابي والرصافة ومصياف وهي دار ملك هذه القلاع الاسماعيلية ولها على قللها الرتب العلية واما ولاياتها فهي انطرسوس واللاذقية وجبة المنيطرة وبلاد الضنيين (الضنية) ومنها بشريه وجبلة وانفة وجبيل وما لعل في تلك مما له ولاية

و بعض هذه البلاد اليوم تابعة للواء اللاذقية من اعمال ولاية بيروت والآخر من

لواء حماة من عمل ولاية سورية وغيره من عمل متصرفية جبل لبنان وبعضه من عمل طرابلس كحصن الاكراد وعكار وصافيتا ونواحي المنية وحدور والقنية وطرطوس وارواد وطرابلس هي احد الوية ولاية بيروت وهي اللاذقية وعكا ونابلس .

ويبدأ اول عمل لواء طرابلس من السفح الجنوبي من لبنان ومن السفح الشمالي من جبال النصيرية فهو بين منفسحي هذين الجبلين وتكثر انهاره واعظمها النهر الكبير في عكار ويسميه القدماء نهر ايلوتروس Eleutherus ومن ضفته الشمالية تبتدي البقيعة وهي سهل فسيح اشبه بسهل البقاع في لبنان الشرقي

سميت طرابلس بهذا الاسم اي البلاد الثلاثة (تريبوليس) Tripoli لان مهاجري ثلاث مدن فينيقية وهي صور وصيدا وارواد بنوها وكان كل حي من احياء هؤلاء المهاجرين يفصله عن الآخر سور على ان اسم المدينة الفينيقي غير معروف على وجه الصحة وهذه التسمية اقرب الى الرومية ولعل طرابلس لم تؤسس الا قبل المسيح بسبعمائة سنة بعد تأسيس ارواد وقد جاء بعد بنائها من الصور بين والصيدونيين والارواديين دولة السلوقيين الرومية فامتلكوها في جملة ما ملكوه من بلاد الشام ثم الرومان فزينوها وانشأوا فيها ابنية ضخمة اتت عليها كلها الزلازل المريعة التي اصابتها في عصور مختلفة ولما جاء الصليبيون الى طرابلس كان حاكمها ابن عمار من الحكام المستقلين بها فبدأ الكونت ريموند سان جيل من ملوك الصليبيين بحصارها سنة ١١٠٤ م وذلك بانشائه حصناً سماه الافرنج مون بلغرينوس Mons Bellegrinus وسماه المسلمون سان جيل او صان جيل ولم تؤخذ المدينة الا بعد خمس سنين وذلك باحراقها ومن جملة ما ذهب في حريقها طعاماً للنار مكتبة عربية مهمة كان فيها في بعض الروايات مئة الف مجلد وفي رواية اخرى اكثر من ذلك بكثير ودام حكم الصليبيين في طرابلس ١٨٠ سنة ارتقت في خلالها كما يقول مؤرخوهم على الرغم مما كان يتخلل تلك المدة من المصائب والحروب الاهلية واستعادها منهم سنة ١٢٨٩ السلطان قلاوون الصالحي سابع ملوك المماليك البحرية في مصر والشام وبناها في الداخل بعيدة عن الساحل كما مر آنفاً

ودخلت طرابلس في الحكم العثماني على عهد السلطان سليم يوم فتح الشام وظلت مدة تعلو وتسفل بحكم الاقطاعات شأن سائر المقاطعات والولايات وكانت مدة مركز ايالة ثم الحقت بولاية سورية يوم تأسيس الولايات وكان حظها ان تتبع بيروت يوم سلخت هذه عن دمشق واصبحت ولاية برأسها

تحتوي طرابلس من السكان على نحو ثلاثين الف نسمة وفي اعمالها زهاء ١٥٠ الفاً ومساحة قضائها ١٩١ كيلومتراً مربعاً ومساحة قضاء عكار ٢٨٥ وقضاء الحصن ٥١٣ وقضاء صافيتا ٤١٤ كيلومتراً والعنصر الغالب فيها المسلمون ثم يحيى اهل الاديان الاخرى ويقال ان اصل سكان طرابلس من جالية العجم ولذلك غلبت عليهم طباع اشبه بطباع الفرس من حيث الابهة والتأنق

كان المأمول ان ترقى مدينة طرابلس الشام لانصالها بخط حديدي عريض مع بلاد الداخلية طوله من طرابلس الى حمص ١٠٥ كيلومترات ولكننا رأيناها هذه المرة على تلك الصورة التي رأيناها عليها منذ نحو عشر سنين لم تكد تخطو خطوة تستحق ان تذكر ولولا شيء من الموبقات الجهرية التي زادت فيها بدخول الاجانب وانتشار الحرية وكان بعضها موجوداً من قبل على صورة سرية لقلنا ان طرابلس هي هي منذ بضع سنين

ومن الغريب ان بعضهم لاحظ بان نفوس سكانها لم تزد زيادة تذكر في العهد الاخير مع ان اهلها ليسوا اكثر من سائر مدن سورية وقراها في حب الهجرة . ولولا قليل من الضعف انشئت فيها معقيب الدستور لكان يصح ان يقال ان الحركة العلمية لم تزل بحالها ايضاً . وقد اثر هذه السنة ماشوهد من النقص في حاصلات البلاد الداخلية لرداءة المواسم فخف اصدار الغلات من طرابلس وكانت بحالتها التي لنقل الحبوب اليها في السنين الغابرة من جهات عكار والحصن وصافيتا وحمص وحماة وسلمية اكثر حركة منها اليوم بسكتها الحديدية الجديدة ولكن هذه السنة لا تقاس عليها سائر السنين مادمنا موقنين بان الارتقاء يطيء الحصول كالانحطاط ولا بد من قضاء دور الحضانة في الحضارة والسكك الحديدية اذا مدت في الاصقاع المقفرة اعمرتها فما بالك بقطر مخصب البقاع والرباع جيد التربة ذكي الماء والهواء واسع المادة تجود فيه اكثر الغلات والثمرات .

اللهم ان طرابلس ستكون بعد بيروت اهم موانئ سورية بعد سنين اذا تعاضد اهلوها على مافيه المصلحة تعاضدهم يوم نالوا امتياز سكة حديد طرابلس — حمص وتركوا اشتغال بعضهم بما هو من شأن البلدان التي لاعمل لاهلها ينهضون به فلا يجدون تسلية لهم سوى الاغتياب والنميمة واكل لحوم بعضهم بعضاً وتسفيه آرائهم فتكون عاقبة ذلك التخاذل والتفاشل وذريعة الانحطاط المهين .

تمثل لنا في طرابلس كل التمثل ان العقلاء من المسيحيين احسنوا الانضمام بالدستور اكثر من اخوانهم المسلمين فكان واسطة لنهوضهم اذ كانت لديهم مواد الارتقاء موفورة الا قليلاً فلما جاء دور العمل هبوا هبوباً محموداً ولولا داء الهجرة الذي تفشى اكثر من غيرهم ولا سيما بسبب الجندية لبلغ اخواننا في الوطن مبلغاً تحسدهم عليه حتى الامم الراقية

فعسانا نسمع عن هذا البلد الطيب كل ما يسر القلوب من دواعي الارتقاء فتقل وقائعها وحوادثها المزعجة وتكسد سوق الفسوق الرائجة بما ينهال عليها من اموال بعض اغنياء عكار والحصن وصافيتا ممن يقصدون طرابلس ليفجروا فيها ويخلون برضاهم عن ملاحظة زروعهم وعمران بلادهم .

واذا صح ما يسعى اليه بعضهم اليوم من نيل امتياز سكة حديدية من حمص الى تدمر والمسافة بينهما لا تقل عن مائتي كيلومتر تحمل القطارات الى طرابلس بغلات الداخلية من شرقي سورية كما ينقل الخط الحلبي محاصيل البلاد الشمالية

وبعد فقد اشتهرت طرابلس من القديم بمصنوعاتها الحريرية ولاسيما الزنانير الطرابلسية اللطيفة وكل صناعاتها قد نازعتها المصنوعات الاوربية اليوم وتوشك ان تهزمها برخص اسعارها وجمالها الظاهري ومهارة التجرين بها في قاعدة العرض والطلب ولكن اوربا لا تستطيع منازعة طرابلس ولا غيرها من هذه البلاد بمحصولات اراضيها وخصوصاً الثمار والبقول والغلات وفي طرابلس يجود البرتقال والليمون جودته في صيدا وباقا من بلاد الساحل وقد رأى ارباب الحدائق كيف ربحوا من اراضيهم منذ توفروا على زراعة هذه الشجرة المباركة

خاتمة

هذا ما شاهدناه ولاحظناه في الرحلة بين دمشق الفيحاء وحلب الشهباء سطرناه بعد الرجوع الى نصوص علماء التاريخ والجغرافيا من العرب خاصة وذلك بقدر ما سمحت الاحوال وقد استغرقت هذه السياحة عشرين يوماً ولو صرفنا اكثر من هذه الفترة والزمن وتتبعنا الاقاليم اقليماً اقليماً والكور الواحدة بعد الاخرى لاتينا من الفوائد باضعاف ما اتينا وكنا بما نجمع نستغني بعض الشيء عن الغربيين فيما يتعلق على الاقل بتاريخ هذه البلاد وعمرانها وثقومها والحمد لله في المبادىء والخواتيم

مخطوطات ومطبوعات

المسالك والممالك

نشر علماء المشرقيات مئات من كتب العرب وقلما نشروا شيئاً الا وفيه فوائد جمة يتمم نقصاً في العلم ويسد ثلمة في الآداب والفنون . وممن عنوا بنشر كتب الجغرافية التي الفها علماء العرب الاستاذ دي غوي الهولاندي نشر في ليدن ثماني مجلدات لعلماء متنوعين في صور بلاد الاسلام وسماها المكتبة الجغرافية العربية كما نشر مستشرقو الاسبان بضعة عشر مجلداً في تاريخ الاندلس وسموها المكتبة الاندلسية ومن جملة تلك المجلدات الثمانية كتاب المسالك والممالك لابي القاسم محمد بن حوقل البغدادي من اهل القرن الرابع وقد اعتمد فيه على كتاب ابي القاسم محمد بن خرداذبة وقدامة بن جعفر الكاتب وابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ واضاف فيه بذكر المفاوز والممالك والاقاليم والبلدان وطبائع اهلها وخواص البلدان في نفسها وذكر جباياتها وخراجاتها ومستغلاتها وذكر الانهار الكبار واتصالها بشطوط البحار وما على سواحل البحار من المدن والامصار ومسافة ما بين البلدان للسفارة والتجار مع ما يضاف الى ذلك من الحكايات والاخبار والنوادر والآثار .

هذا اقل ما يقال في كتاب المسالك والممالك واهم ما فيه ان مؤلفه رحمه الله كان في الجغرافيين كما كان المسعودي في المؤرخين ممن رحلوا من بلدهم وضربوا في طول الارض وعرضها ولذلك تكلم فيما تكلم عنه من البلاد عن ذوق ونظر واختبار فخرج من بلده وطاف كثيراً من اقطار العراق والجزيرة وارمينية وخراسان والجبال وفارس وماوراء النهر والسند والشام ومصر وبرقة وافريقية والمغرب الاقصى وصقلية والاندلس وغيرها من بلاد الاسلام ولم يتعرض للكلام على سائر الاقطار الا بحسب ما بلغه من الثبات عنها ولذلك جاء كتابه من اصح ما كتب في عصره لانه ميز بين الحق والباطل والحالي والعاطل .

وللمؤلف طريقة في التأليف والتحرز من الوقوع فيما يقع فيه اغلب مؤلفي القرون الوسطى ما لا يكاد يدانيه فيه كثيرون وكانت رحلته على التجارة على نحو ما كان شأن ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان من اكبر المساعدات له على احراز هذه الملكة واليك نموذجاً من احترازه خوف السقوط عند صيارفة النقد من بعد ان قال في كلام على اليمن:

« ويحكى عن بعض الغيلان بها ما لا استجيز حكايته لان المنكر لما لا يعلم اعذر من المقر بما يجهل » وهكذا تجده اذا شئت في الاخبار يقدم بين يدي نجواها قوله ويزعمون او يقال او يروى ليكون المطالع على بصيرة مما يقرأه .

وكتاب المسالك والممالك على صغر حجمه (٤٠٦ ص من قطع الوسط) فيه عدا وصف البلدان ذكر خراجها وثروتها كما مر آنفاً فهو ليس كتاباً في جغرافية الممالك بل في جغرافيتها الاقتصادية والسياسية والطبيعية يدهش المطالع لتقريرها ويتراءى له ان المؤلف من اهل القرن التاسع عشر او العشرين فيأور با واكثر ماذكره من هذا القبيل مما حققه بنفسه من مصادره لان رحلته وتأمله وبعد نظره مكنته من الاجتماع بالطبقة العالية من الحكام في عصره فوقف على ارتفاع الممالك وما تخرجه البلاد من الخيرات قال : « وفي ذكر البلد مايدل على ما كان عليه من العتاد والعدد ووصف ارتفاعه مايعرب عن حاله ومكانه ويغني عن ذكر شرفه وشأنه وكذلك كل بلد ذكرته واذكره فالعبرة بارتفاعه وجبايته هي التي تدل على قوته وقوة اهله اذ قوام الدنيا بالمال وهذه عبرة لجميع العقلاء ومرآة لسائر الفهماء، وان خرج بالخصوص عن بحر العموم في هذه الفضية قوم لم نحكم بهم ولم نلتفت اليهم . »

واذ كان المؤلف ممن يشتغلون بالمال وتنميته مع العلم والتأليف تراه يستدل احياناً على ثروة قوم بنزل بينهم بالسفاتج والاوراق المالية التي لم نسمع اذ ذكر من هذا القبيل انه رأى في ايدي بعض التجار وسمى اسماءهم في صقلية والمغرب وغيرهما سفاتج كل سفتجة بار بعين الف دينار واكثر لصاحبها دين على آخر فاذا كان تاجر واحد له على تاجر آخر مثل هذا القدر فكم تكون ثروته . واليك هذه القصة التي رواها في غنى اهل سيراف ومنها تعلم عظم نفسه ايضاً وصورة من صور الخلاعة قال: « ولقد رأيت بالبصرة منهم (اهل سيراف) ابابكر احمد بن عمر السيرافي في سنة ٣٠٥ وقد قدمت عليه بكتاب ممن يعز عليه في مهم له فاخذ الكتاب من حيث لم ينظر الي فقرأه ثم وضعه من يده ولم يعرني لحظاً وسأله في الكتاب مخاطبتي على معانيه واستعلام ماعرض فيه من مخاطبته وما بينهما مما يجب وقوفه عليه من جهتي كالمستشهد بعلمي بعد تعريفه في الكتاب صورتي ومحلي منه ثم اقبل على بعض خدمه وذكر مراكبه وحاله فوثبت غيظاً وانا لا ابصر مابين يدي من شدة مالقيني وداخلني باعراضه فكأنه لحظ مكاني فقال : مافعل الرجل فقيل : ومن هو فقال : صاحب فلان فقيل له : و بصاحب فلان مافعلت هذا الانتهاض لقد خرج

وهو لا يبصر ما بين يديه حتفاً والماً فقال: علي به فلحقني كتابه وقد بث جماعة غيره في طلبي في الطريق التي قصدت له فقال ان الشيخ تألم من خروجك بغير اذنه وعرفناه ماظهر لنا منك فانفذنا لردك فقلت: والله لقد رأيت ملوك الدنيا او اكثرهم ممن تحت ايديهم الآلاف من الناس على اختلاف اطوارهم وتباين احوالهم وهم قطب الصلف فما رأيت رجلاً اكثر زهواً وباواً واقبح صلفاً منه فقال: وحق له ذلك هذا رجل اعتل في سنة ٤٨ علة خيف عليه منها فوصى فبلغ ثلث ماله مع شيء استزاده على الثلث لانه لا وارث له بالف الف دينار بين مركب قائم بنفسه وآلته ووكيل معلوم ماعنده وتحت يده بالحسابات الظاهرة والقبوض المعروفة المعلومة من جهاتها واوقاتها الى بربهار ومتاع من جوهر وعطر في خانياراته ومخازنه وقل مركب خطف له الى ناحية من نواحي الهند او الزنج او الصين فكان له فيه شريك او كري الا على حسب التفضل على المحمول بغير اجرة فالمحمي قوله وعدت اليه فاعتذر بما كان وهذا وان زاد على الثلث فلعله اوصى بنصف ماله فما سمعت ان احداً من التجار ملك هذا المقدار ولا تصرف فيه ولا من وديعة سلطان لانها حكاية اذا اعتبرت كالخرافات يستوحش من حكاها منها.»

وكثيراً ما يتعرض المؤلف لخصائص سكان البلاد وعاداتهم وعاداتهم ومن ذلك ماذكره في فارس من ان الاكراد في عهده كانوا يحكمونها ويجبون خراجها وانهم تغلبوا على الجزيرة وارمينية مما يلي انهم هناك الآن منذ عهد ليس ببطويل وان معظمهم كانوا في بلاد فارس وما ندري ما طرأ من الاحوال حتى انتشروا في هذا القسم من البلاد العثمانية اليوم فقد قال المؤلف: واما احياء الاكراد بفارس فالكرمانية والراماتية ومدثر وحي محمد بن بشر والبقيلية واليندامهرية وحي محمد بن اسحاق والصياحية والاسحاقية والادركانية والهركية والطيادهية والزيادية والشهروية والبنداوقية والخسروية والزنجية والصفرية والشهيارية والمهركية والمباركية والاستامهرية والشاهونية والفراتية والسلوتية والصيرية والازادختيه والبرازدختية والمطلبية والمالية والشاهكانية والجليلية فهؤلاء المشهورون ولا ينهيا لقصيهم الا من ديوان الصدقات ويزيدون على خمسمائة الف بيت ويخرج من الحي الواحد الف فارس واقل من ذلك واكثرهم يتجمعون في الشتاء والصيف المراعي الا القليل منهم على حدود الغرود واما اهل الجروم فلا يزالون ولا ينتقلون بل يترددون فيها لهم من النواحي ولهم من العدة والبأس والقوة بالرجال والدواب والكراع ما يستصعب على السلطان امرهم اذا اراد ان يخيفهم . ويزعم ابن دريد انهم

من العرب وانهم من ولد كرد بن مرد بن عمرو بن عامر في حماسته وابو بكر محمد ابن الحسن بن دريد ممن يستنبط علوم العرب واخبارها محتج به ومسلم له ما يدعيه وهم اصحاب اغنام ورماك والابل فيهم قليلة وليس للاكراد خيل عتاق الا ما عند المازنجان المقيمين بحدود اصبهان واما دوابهم فبراذين وبهاري وهم على حسن حال ويسار ومذاهبهم في القنية والنجعة مذاهب العرب ويقال انهم يزيدون على مائة حي وذكرت نيفاً وثلاثين حياً .»

وقال في فارس ايضاً : «فاما زيهم ولباسهم واحوالهم فالغالب على خلقهم النحافة وخفة الشعر وسمرة اللون واهل الصرود اعبل اجساماً واكثر شعوراً واشد بياضاً ولهم ثلاثة السنة الفارسية التي يتكلمون بها وجميع اهل فارس يفقهونها ويتكلم بعضهم بعضاً بها الا الفاظاً تختلف لا تستعجم على عامتهم ولسانهم الذي به كتب العجم وايابهم ومكاتبات المجوس فيما بينهم هو الفهلوية التي تحتاج الى تفسير حتى يعرفها الفارسي ولسان العربية الذي به مكاتبات السلطان والدواوين وعامة الناس واما زيهم فكان السلطان زيه الاقية وقد تلبس سلاطينهم الدراريع وان كانوا فرساً ومن لبس الدراريع منهم اوسع فروجها وعرض جرباناتها وجيوب دراريعهم كجيوب الكتاب والعمائم تحتها القلانس المرتفعة ويحملون السيوف بحمائل وفي اوساطهم المناطق وخفافهم تصغر عن خفاف اهل خراسان وقد تغير زي سلطانهم في وقتنا هذا لان الغالب على اصحابه لبس الديلم وقضاتهم يلبسون الدنيات وما اشبهها من القلانس المشمرة عن الاذنين مع الطيالسة والتمص والجباب ولا يلبسون دراعة ولا خفاً بكسره ولا قلنسوة حتى تغطي الاذنين وكتابهم يلبسون ملابس كتاب العراق ولا يستعملون القباء ولا الطيلسان وتناؤهم بين لبس كتاب والتجار من الطيالسة والاردية والاكسية النوشي والخز والعمائم والخف التي لا كسر فيها والتمص والجباب والمبطنات ويتفاضلون في جودة الملابس والزي واحد كزي اهل العراق والغالب على اخلاق ملوكهم وخدمهم والنساء منهم والمخالطين للسلطان من عمال الدواوين والداخلين عليهم واستعمال المروة في احوالهم واقامة الوظائف والمطابخ وتحسين الموائد بالمطاعم وكثرة الطعام واحضار الحلوى والفواكه قبل الموائد والنزاهة عما يقبح به الحديث من الاخلاق الدنية وترك المجاهرة بالفواحش والمبالغة في تحسين دورهم ولباسهم وموائدهم والمنافسة فيما بينهم في ذلك والآداب الظاهرة فيهم والعلم الشائع في جميعهم واما تجارهم فالغالب عليهم محبة الجمع للمال والحرص فوق من سواهم من اهل الامصار .»

وقال في كلامه على البلاد الشامية مانصه : وطرابلس وهي مدينة كثيرة الخير والغلات والفواكه الجيدة بينة الخصب والرخص وهي قريبة من مدينة بيروت التي على ساحل بحر الروم وهي فرضتها وساحلها وبها يرابط اهل دمشق وسائر جندها واليها يتفرون عند استفارهم وليسوا كأهل دمشق في جفاء الاخلاق وغلظة الطباع وفيهم من اذا دعي الى الخير اجاب واذا ايقظه الداعي انتاب ، ولنفس دمشق خاصية بطالعها الجاري بها على الخلاف وسمعت عبد الله بن محمد يقول : برج الاسد معوج فاسد مع شرفه وضيائه وقل ماكان طالع بلد فصفت طاعته واستقامت وذكر سمرقند واردبيل ومكة ودمشق وصقلية وقال لا تصلح للملاطينها ولا يستقيم سلاطينها بها واكثر هذه المدن فالنذر اثبت ما في نفوسهم والشر اشمل الاحوال عليهم اه وهذا مما يؤخذ على المؤلف ولكن كيف كان الحال لم يخل كتابه من ذكر طبائع اهل البلاد اوردناه للدلالة على ذلك

وقد اجاد المؤلف من وراء الغاية في وصف المسافات بين البلدان بحيث جاء كتابه في عصره بل والى اليوم اشبه بدليل سائح لما عرف من بلاد الاسلام وان اورث ذلك بعض الفصول طولاً احياناً ولكن المؤلفات لاتكون كلها سلسلة واحدة في الجودة والفائدة والتسلية . كما اجاد في وصف معادن كل قطر وهوائه وذكر نبذة من تاريخ عمرانه بحيث جاء كتابه لا في الجغرافيا فقط بل في المنيرولوجيا (علم الاحداث الجدية) والكرونولوجيا (التاريخ والسير) والمنيرولوجيا (علم المعادن) والايتنوغرافيا (علم خصائص الشعوب) والارکیولوجيا (علم الآثار) والتوميسماتيك (علم النقود) وهكذا حوى من كل فن خبراً ولكن مع التثبت والتنقيح على الاغلب ومما ذكره في تاريخ بني حمدان امراء الجزيرة وهم الذين خلد مجدهم ابو الطيب المتنبي بشعره لما اعتدقه عليه مقدمهم سيف الدولة المشهور من المكارم فقال فيهم مالم نذكر اننا اطلعنا عليه في شيء من كتب التاريخ مانصه : « ولم تزل (نصيبين) على ماذكرته من اول الاسلام تضمن ثمانية الف دينار الى سنة ٣٦٠ فاكب عليها بنو حمدان بعنوف الجور وتجديد الكلف الى ان حمل ذلك بني حبيب وهم بنو عم بني حمدان الى ان خرجوا بذراريهم ومواشيهم وثقلهم في اثني عشر الف فارس على فرس عتيق وسلاح شاك من درع وجوشن مذهب ومغفر مذيج وسيف فارد ورمح خطي وآلة وعدة على بلد الروم مطلة فقمع بها شوكتهم ويسبون بها ذراريهم ويخربون حصونهم ويخوضون ديارهم فقدمهم كهذه العدة لم من جنائب

هتاق وبغال فره عليها الخدم والموالي فتنصروا باجمعهم واوثقوا ملك ازوم من انفهم بعد ان احسن لهم النظر في ازالهم عن كرائم الضياع ونفائس الحباء والمتاع وتجبيرهم في القرى والمواشي ورفدهم بالنواحي والمواشي العوامل وعادوا الى بلد الاسلام على بصيرة بحضارة وعلم باسباب فساده وخبرة بطرقه ومعرفة بدقه وجله وقلوبهم تضطرم حقداً وتفور كيداً وقد كاتبوا من خلفوه ولاطفوا من عرفوه بقصد آل حمدان له في ماله وضياعه فاطمعوهم فيما نالوه وعرفوهم ما رجعوا اليه وجاؤا فيه من قصد بلاد الاسلام واجتياحه واصطلام بتاعه ونواحيه وان الملك ايدهم وقواهم وانعم عليهم وآواهم فلحق به كثير من المخلفين عنهم والتقى اليهم من لم يك منهم فنسوا الغارات على بلد الاسلام وافتتحوا حصن منصور وحصن زياد وصاروا الى كفرتوثا ودارا فاتوا عليها بالسبي والقتل والحقوا اسوارها بالارض وصارت لم تلك عادة وديدناً يخرجون كل سنة عند اوان الحصاد الى ان اتوا على بعض نصيبين بنفسها والغربي من ضياعها وتعدوا ذلك الى ان وصلوا الى جزيرة ابن عمر فاهلكوا ظاهرها وسحقوا رأس عين واعملها وساروا الى الرقة وباليس وعادوا الى ميا فارقين وارزن فاخربوا قراها وضياعها واحرقوا اشجارها وزروعها الى ان جعلوها كالخاوية على عروشها وتزايدت ثقة الملك بهم والروم الى ان جعلوا لهم الارزاق والاعطية وصاروا خاصة الملك وفتحوا له المضايق وتقدموا في المسالك واطمعوه على مر الايام وتعاقب الاعوام وهلاك السلطان والاسلام في انطاكية والمصيصة وحلب وطرسوس فدار لهم عليها ما كان القضاء قد سبق به والمقدار قد نفذ فيه وكان محمد المعروف بناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان الى نصيبين فاكتسح اشجارها وبقل ثمارها وغور انهارها واستصفاها ممن دخل الى بلد الروم واشترى من بعض قوم واغتصب آخرين فملكها الا القليل وجعل مكان الفواكه الغلات والحبوب كالقطن والسمسم والارز فصار ارتفاعها اكثر مما كانت عليه وزادت ربوعها فسلمها الى من بقي من اهلها ولم يمكنهم النهوض عنها وآثروا فطرة الاسلام ومحبة المنشأ حيث قضوا ايام الشباب على مقاسمة النصف من غلاتها على اي نوع كانت وعلى ان يقدر المحل ويقومه عيناً ان شاء او ورقاً ويعطي الجواب لمن وجب له حق المقاسمة فيكون دون الخمس فلم يزالوا على ذلك معه الى ان الحقه الله بسلفه فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين واهلها مع ولده في وقتنا هذا على اقبح ما كانوا عليه مع والده من تقدير يستغرق اكثر الغلة وتقويم ما يبقى من سهم المزارع ثمن يرونه ويحمل الى مخازنهم واهراسهم

اصابته فيقبض منه ما يحتاج لبذره ويرضخ له ما يقدره متمسكاً لرمقه وعيشه بالجهد .»

ارشاد الخلق
الى العمل بخبر البرق

تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي طبع بمطبعة المقتبس سنة ١٣٢٩ ص ١٠٤

كلما تأملنا في حالي المسلمين وما بلغه بعض مشايخ الجمود من الضعف العلمي والعقلي نحكم باننا اليوم كأهل اوربا في القرن الثاني عشر والثالث عشر للميلاد نكابر في البديهيات ونحارب المصلحين ونود ان ندخل كل شيء في الدين ومن ذلك ان قوماً جعلوا ديدنهم الاعتراض على كل شيء يقولون في مثل هذا العصر بتحريم التمثيل ويتكرون العمل بالانباء البرقية في اثبات الاهلة ولذلك ترى دعاة الاصلاح الديني امثال مؤلفنا صاحب هذا الكتاب تضيق صدورهم من هذه المماحكات في المحسوسات فيتوفرون على رد شبههم وافتراءاتهم على الدين الذي صوروه بما اوحت اليهم عقولهم القاصرة

وقد اتى المؤلف بالمنقول الصحيحة جاعلاً العقل رائده في محاج المكابرين وذكر فتاوى بعض علماء العصر في جواز العمل بالتلغراف بما دل على بعد نظره وتحريه في بحثه وكأنه ادرك ان بعض المماحكين يرمونه بالاجتهاد وهو بزعمهم مسدود بابه منذ قرون فقال مبيناً غرضه في جملة . «قد يظن من لاخلاق له وبعض الظن اثم ان مراد دعاة الاصلاح العلمي الآن بالاجتهاد هو القيام بمذهب خاص والدعوة له على انفراده والشذوذ عن اقوال الائمة والغض من كرامة من سلف (نعوذ بالله من الجهل وسوء الفهم) فان من يفهم هذا لاضل من الانعام . واي عاقل يدعو لتكثير الشيع والفرق وزيادة الانقسام وانما المراد انهاض همم رواد العلم لتعرف المسائل بادلتها والبحث عن مدارکها وما خذها والتنقيب عن كتب السلف والائمة في الاصول والفروع وتعرف طرق التخريج والاستنباط وحجج الموافق والمخالف ثم توخي الاقوى فالاقوى دليلاً وتحري الاقوم فالاقوم قيلاً كما كان عليه السالف الصالح وثلة من الخلف الناجح والمتأخرون عيال على المتقدمين في جل علومهم وما ذخروه من كنوزهم وانما التفاوت في ادراك القوي سلطانه الاصح برهانه وفي الوقوف على مقاصد الشريعة واسرار التشريع ودرك اللباب من الحشو وتمييز الاصيل من الدخيل على ان التخالف في الامور المجتهد فيها الغير المنصوص عليها سنة جرى عليها السلف ومنهج سلكه الى هذا العصر كبار الخلف » فنثني الثناء

الاطيب على الاستاذ المؤلف فهو بعلم قومه بعلمه وعمله ودروسه وتصانيفه ومقالاته ولا يفترعن الاجتهاد في خطته وامثاله من يدكون أسس الخرافات والاوهام و يرفعون من شأن العلم والعقل بين اهل الاسلام

كتاب القضاة

الذين ولوا قضاء مصر

تأليف ابي محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي وذيله لابي الحسن احمد بن عبدالرحمن ابن برد نشره الاستاذ ريجارد غوتهل من جامعة كولمبيا في نيويورك وطبعه بول كونر في باريز في مدينة رومية العظمى سنة ١٩٠٨ م ص ١٦٧

كان البحث في احوال الشرق من خصائص علماء المشرقيات من الاوربيين وها قد اصبحنا نرى من الاميركيين ميلا الى الاطلاع على احوال الشرق والنظر في علومه وآدابه وهذا الكتاب شاهد بذلك فقد طبع طبعة جيدة بحروفها وورقها وكنا نود ان يوفق ناشره الى تعريبه من اغلاط الرسم والتحريف واكثره من الاصل بالطبع فضت الامانة على المؤلف ان يبقي ما رآه على حاله ولكن غلط الناسخ لا يبرر الناشر والطابع كما ان الكاتب لا يرحم القاريء وعلى كل فقد ظهر هذا الكتاب على الاسلوب المتعارف في طبع الغربيين لكتبنا محلى بتعليقات بالانكليزية وفهارس في اسماء الرجال والنساء والرواة واسماء المواضع والقبائل والامم الواردة في متن الكتاب .

واسلوب المؤلف على سبيل الرواية كالمحدثين حسن الاداء يستفيد المطالع منه أموراً كثيرة ولا سيما في الاقضية الغريبة التي صدرت عن حكام مصر وغير ذلك من الحالة الاجتماعية في القرون الاربعة الاولى في مصر وقد قسم المؤلف كتابه الى سبعة اجزاء دخل كل واحد منها في بضع ورقات والدليل عليه في جزء واحد والاصل المنقول عنه كان في دمشق نقل في الخامس من صفر سنة اربع وعشرين وستمائة للهجرة وعجيب حال الكتب في تنقلها : كتاب عربي يؤلف في مصر فينقل من دمشق و يعثر عليه اميركاني فيلتزم طبعه فرنساوي وتطبعه مطبعة طليانية

واليك انموذجات تستدل بها على اسلوب المؤلف قال : حدثنا محمد بن يوسف قال حدثني يحيى ابن ابي معاوية حدثني خلف عن ابيه عن جده ان ابا عون عبدالملك بن يزيد عزل عبد الرحمن بن سالم عن القضاء وولاه الديوان . وحدثنا محمد بن موسى الحضرمي قال حدثنا ياسين عن يحيى بن بكير قال اهل ابي سالم الجيشاني يقولون انهم

من معافر وفيها وجدت في ديوان بني أمية براءة زمن [1] مروان بن محمد فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عيسى بن ابي عطاء الى خزان بيت المال فأعطوا عبدالرحمن بن سالم القاضي رزقه لشهر ربيع الاول وربيع الآخر سنة احدى وثلثين ومائة عشرين ديناراً واكتبوا بذلك البراءة وكتب يوم الاربعاء لليلة خلت من ربيع الاول سنة احدى وثلثين ومائة وقال في مكان آخر: حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا احمد بن داوود ابن صالح قال حدثني محمد بن ابي المغيرة عن ابن وزير عن ابي زين كيدان عبدالاعلى ابن سعيد الجيشاني تزوج امرأة من بني عبد كلال فقام بعض اولياثها في ذلك وانكروه وترافعوا الى ابي خزيمة فقال ما احل ما حرم الله ولا احرم ما احل الله اذا زوجها ولي فالنكاح ماض فارتفعوا الى يزيد بن حاتم وهو الامير يومئذ فقال يزيد ليس عبدالاعلى من اكفائها وامر اباخزيمة بفسخ نكاحها فامتنع ابو خزيمة من ذلك وفرق بينهما يزيد ابن حاتم حدثنا محمد بن يوسف قال حدثني ابن قديد عن عبيدالله عن ابيه قال قال عبدالاعلى بن سعيد الجيشاني لما فرق يزيد بين الكلالية وبينه

وأعلنت الفواحش في البوادي ... وصار الناس اعوان المريب
اذا ما عيبهم عابوا مقالي ... لما في القوم من تلك العيوب
وودوا لو كفرنا فاستوينا ... وصار الناس كالشيء المشوب
وكنا نستطب اذا مرضنا ... فصار هلاكنا بيد الطبيب

وذكر المؤلف في ترجمة عبدالرحمن العمري الذي ولي قضاء مصر من قبل هارون الرشيد سنة خمس وثمانين ومائة انه كان لا يشدد باطراف الغناء على مغاني اهل المدينة ويبرز كثيراً في مجالسه ولا يتحاشى ان يقول هذا غناء ابن مسرح وهذا به الدلال وهذا من جيد غناء العريض ولم يكن بمصر مستمعة (لعلها مسمعة) الا ركب اليها يسمع غناءها وربما قوّم ما انكسر من غنائها ويرى ذلك من الدين .

ومما كتب عن هذا القاضي العمري من القضايا في مسجد رث واستهدم فأمر ببنيانه قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب امر به القاضي عبد الرحمن بن عبد الله وهو يومئذ يلي القضاء بين اهل مصر في صفر سنة ثماني وثمانين ومائة بما ثبت عنده في المسجد الذي يقال له مسجد عبد الله الذي بالظاهر قبلة الطريق الاعظم الى المسجد

(١) هكذا وردت في الكتاب ولم يعلق عليها ناشره والاقرب انها « براءة ذمة » وكذلك سقط فيما نحسب « اما بعد » قبل فأعطوا

الجامع ويجويه الطريق الذي يسلك الى سوق يربر وشرقيه السويقة التي يقال لها سويقة مسجد عبدالله غربي طريق الموقف وغربيه الطريق الذي يسلك منه غربي الجب الذي يقال له جب عبدالله حين رفع الى القاضي عبدالرحمن بن عبدالله نفر من جيرة هذا المسجد ان هذا المسجد قد رثّ وخيف عليه لانكسار خشبه وسقفه واحتاج الى العمارة والمرمة وانهم قد وجدوا من احتسب في اصلاحه وبنائه وتصيير حوانيت تحته في حقوقه ليكون غلتها مرمة لما استهدم منه وفي زيته وحصره وأجر مؤذنه وشأنه كله . فسألوا القاضي عبدالرحمن بن عبدالله ان يأذن لهم في ذلك فدعاهم بالبينة على ما ذكروا واقاموا بينة وعدلوا عنده وقبل شهادتهم فشهدوا عند القاضي عبدالرحمن بن عبدالله ان هذا المسجد الموصوف في صدر هذا الكتاب خيف على سقفه من قبل خشبه واحتاج الى العمارة والمرمة في جدره وان اجتمعه التي حوله وما تحت هذا المسجد ليس لاحد فيه حق وان الذي طلب عمارته وبناءه واصلاحه وتصيير حوانيت تحته في حقوقه ومرمة ما استرم منه وفي زيته وحصره وأجر مؤذنه وغير ذلك من نوائبه منفعة للمسلمين ممن صلى فيه وان ذلك ليس بضرر على احد وبعث القاضي عبدالرحمن بن عبدالله نفراً ممن يثق بهم فنظروا الى المسجد الموصوف في هذا الكتاب فرفعوا اليه مثل الذي شهد من الشهود في هذا الكتاب فلما ثبت عند القاضي ذلك رأى ان يأذن في عمارة هذا المسجد الذي وصف في هذا الكتاب وبنيانه واصلاحه وتصيير الحوانيت التي ارادوها تحته في حقوقه ليكون غلتها في مرمة ان احتاج اليها ولما يصلحه في زيته وحصره وأجر مؤذنه وغير ذلك من شأنه ويكون فضلاً (؟) ان فضل من غلتها في وجوه الخير . ورفع الى القاضي عبد الرحمن ابن عبدالله ان هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب قد اصلح وفرغ من بنيانه وحوانيته وأتوا بشهود يقال لهم عبدالصمد بن سعيد وعمرو بن اسماعيل بن عمر الابلي ومحمد بن سليمان بن محمد فشهدوا عند القاضي عبد الرحمن بن عبدالله ان هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب كان اخاف سقفه من قبل خشبه واحتاج الى العمارة والمرمة في جدره وان كل ما كان تحت هذا المسجد وما فوقه والثلاثة الاجنحة التي كانت حوله ملصقة به ان ذلك كله من حق هذا المسجد وحدوده ليس لاحد فيه حق ولا دعوى ولا طلبة بوجه من الوجوه وان المجالس التي كانت حول المسجد خارجة منه كان يؤدي من يجلس فيها الكرى الى من يقوم بامر هذا المسجد انها على حالها لم تدخل في المسجد ولا في حوانيته وعدل الشهود عند القاضي عبدالرحمن بن عبدالله

فقبل شهادتهم وسأل القاضي عبدالرحمن بن عبدالله من حضره من جيرة هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب ان يكتب لهم ما ثبت عنده فيه كتباً يشهدا عند من يرى ليكون ذلك حجة وقوة وان يولى القيام به رجل من اهل الثقة فولى القاضي عبدالرحمن ابن عبدالله السكن بن ابي السكن القرشي القيام بامر هذا المسجد الموصوف سيفي هذا الكتاب واكراء حوانيته وان ينفق من كرائها ما رأى من زيته وحصره وأجر مؤذنه ما يحتاج اليه في امره كله وينفق بقية ان بقيت من كرائه حيث رأى من وجوه الخير وجعله في ذلك امينا واصره بتقوى الله وطاعته والعمل في ذلك بحق الله عليه وانفذ القاضي عبدالرحمن بن عبدالله ان يكتب هذا الكتاب نسخاً تكون وثيقة سيفي هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب فكتب ودفع منها كتاباً الى عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي وكتاباً الى حجاج بن سليمان الحميري وكتاباً الى ربيعة بن الوليد الحضرمي وكتاباً الى شعيب بن الليث بن سعد الفهمي وكتاباً الى ابي رجب العلاء بن عاصم الحولاني وكتاباً الى عمرو بن يزيد الفارسي وكتاباً الى ابي زرارة الليث بن عاصم القفتياني وكتاباً الى عبدالصمد بن سعيد الانصاري وكتاباً الى محمد بن سليمان بن فليح وكتاباً الى الاشقر عبد الملك بن سالم وكتاباً الى السكن بن السكن المقيم بهذا المسجد وكتاباً الى محمد بن سليمان بن محمد بن عبيد وكتاباً في ديوان القاضي عبد الرحمن بن عبد الله اشهد القاضي عبدالرحمن بن عبدالله الشهود المسمين في هذا الكتاب انه ثبت عنده ما في هذا الكتاب واص به وانفذه على ما سمي وفسر فيه وذلك في صفر سنة ثمانٍ وثمانين ومائة اهـ .

ومن نكت الكتاب قوله: اخبرني ابو سلمة وابن قديد عن عيسى بن عثمان قال كان زي اهل مصر وجمال شيوخهم واهل الفقه والعدالة منهم لباس القلانس الطوال كانوا يلبسونها فيها فاصرهم ابن ابي الليث بتركها ومنعهم لباسها وان يشبهوا بلباس القاضي وزيه فلم ينتهوا قال ابن عثمان فجلس ابن ابي الليث في مجلس حكمه في المسجد واجتمع اوائل الشيوخ عليهم القلانس فاقبل عبد الغني ومطر جميعاً فضرب رؤوس الشيوخ حتى القوا قلانسهم قال واخبرني محمد بن ابي الحديد حدثني عتبة بن بسطام قال رأيت قلانس الشيوخ بومئذ في ايدي الصبيان والرعاع يلعبون بها وكانوا بعد ذلك لا يدخلون الى ابن ابي الليث ولا يحضرون مجلسه في قلنسوة . واذ: هذا اسمعيل بن انجمق بن ابراهيم بن تميم للجمل

واخفت ايام الطوال واهلها فرموا بكل طويلة لم تقصر
مازلت تأخذهم بطرح طوالهم والمشي نحوك بالرؤوس الحسر

حتى تركتهم يرون لباسهم بعد الجمال خطيئة لم تغفر
يتفرعون بكل قطعة خرقة يجدونها من اعين ومخبر
فاذا خلا بهم المكان مشوا بها وتأبطوها في المكان الاعمر
فلئن ذعرت طوالهم فلطال ما ذعرت ومن مروا بها لم يذعر
كانوا اذا القوا بهن لمفضل امضى عليه من الوشيج الاسمر
كم موسر افقرته كم مقتر اغنيته من بعد جهد مقفر
ماان عليك لقيت منهم واحداً او في العجاج مدججاً في منفر
لبسوا الطوال لكل يوم شهادة والقوا القضاة بمشية بتبختر
مالي اراهم مطرقين كأنما دمغت رؤوسهم بحمى خيبر

اخبار وافكار

طول الحياة

نعرب للقراء في الموضوعات المفضلة كل مانثر عليه في المجلات الافرنجية واكثرها مما لا نعيد فيه ولا نبدي وآخر ما قرأناه للدكتور نوفيل في المجلة الباريزية المقالة التالية : لما نشر خريستوف هوفلاند الطبيب سنة ١٧٩٦ في اينا اول طبعة من كتابه على اطالة الحياة الانسانية ترجم كتابه الى جميع اللغات حتى العبرانية فبيت على الامم نسمات من روح الرجاء في هذا الباب . فقد كان العلم يبحث عبثاً منذ القدم عن حل لهذه المسألة في الحياة وانقاذ الجسم من ضربات الامراض والهلاك ان لم يكن انقاذاً ابدياً فلا اقل الى اجل معين وابعاد المسافة بين المهد واللحد على الجملة . وكم من احلام تصورتها عقول علماء منافع الاعضاء في القرن الماضي فذهبت تصوراتهم ادراج الرياح وظل البشر لا يعرفون ما يخبأوه لهم الغد من الاقدار على الحياة . بيد ان هوفلاند فتح للدروس الحياتية مهيعاً جديداً باثباته ضرورة الجري في الحياة على قواعد مقررة في علم الصحة الطبيعية والاخلاقية التي ابان حقائقها وسن طرائقها على انه لم يبد الا قوانين نظرية استند فيها الى معلومات مختلف في نتائجها من حيث الاسباب الحقيقية في الموت والمبادئ الاولى في علم الامراض وطبائعها وعللها « الباثولوجيا » . ولم تكن الطرق التجريبية قد

احدثت وكانت اعمال المعامل الكيماوية محصورة في نطاق ضيق وعلم الجراثيم المرضية غير معروف

جاء لوانهوك في القرن الماضي وقال ان في احشاء الانسان والحيوان احياء دقيقة اكتشفها بعض الاكتشاف بواسطة عدسية مكبرة ثم قام معاصر هوفلاند من رجال الدانيمرك الطبيبي موللر واستخدم المجهر الذي ترى به هذه الاحياء الضارة على جليتها واتم اهرنبرغ سنة ١٨٣٣ هذه الابحاث وابان بعض خصائص التفاعيات على اختلاف ضروبها ولكن كل ما عرف الى ذاك العهد لم يكن شيئاً مذكوراً بالنسبة للارتقاء الذي ارتقاء علم الجراثيم .

فكان باستور مبدأ الدور الحقيقي لعلم الجراثيم الذي كان هوفلاند واترابه اوضحوا مقدماته، فقرر ان ليس للحياة الا عدو حقيقي واحد شديد العداوة مخادع مهلك بحيث لا يكاد يقع تحت اليد ونعني به تلك الحلمة الطفيلية التي تبعث بالمرض على اختلاف ضروبه ونتعهد على الدوام بارسال رسل الحمام الى الاجسام بحيث بات يرجى ان يتوصل البشر ذات يوم بالقواعد التي سنها وسيسنها العلم ان يتيسر للناس اتقاء الاوجاع خفيفها وشديدها . وهذه الامالي قد تحققت منذ نحو نصف قرن قليلاً قليلاً حتى لقد طال معدل الحياة الانسانية خمس سنين في الذكور وستاً في الاناث

ففي الجداول التي اخذت من الاحصاءات الاكيدة في العالم القديم والحديث ان في كل ١٠٠ وفاة ٤٢ لم تكد تحدث لو عمد اربابها الى المداواة في الزمن اللازم لها وان نصف الامراض لا تنشأ الا من جهل المصابين بها وعدم حيطتهم وقلة المعرفة في تطبيبهم والاهمال الذي يخيفهم . ولو كتب لل ٤٢ وفاة في المئة ان ينجوا من امراضهم لطال معدل الحياة في الجنسين خمس عشرة سنة . وهذا التقرير لا يدخل فيه التعديل الذي وقع في اسباب التطبير وان كان مختلاً في بعض الاحوال ولكن نشأ عنه من عدة وجوه منافع عظيمة و يجب النظر الى الامراض التي يظن انها عضالة اليوم ور بما كانت في المستقبل مما يمكن تلافيه قبل الوقوع فيه ثم ان سن الثمانين التي يصاب صاحبها بالضعف لا محالة و يصبح في انتظار القضاء الالهي عليه قد خف تأثيرها بما قرره منشتكوف من ان الشيخ مريض يستطيع ان يحتمل جذلاً بمرور المئة سنة على ولادته ولذلك امثال كثيرة .

قال الدكتور فيشر من كلية يال ان طول الحياة في اهم عواصم اوربا كانت كما يلي : طالت الحياة في انكلترا من سنة ١٨٨١ — ١٩٠٠ ١٤ سنة في الذكور و ١٦ في

الاناث وفي فرنسا كان معدل طولها من سنة ١٨٨١ — ١٩٠٣ — ١٠ في الذكور و ١١ في الاناث وفي المانيا من سنة ١٨٧٧ — ١٩٠٠ كانت الزيادة ٢٥ سنة للذكور و ٢٩ للاناث وفي الدانيمرك طال معدل الحياة في مدة ٥٧ سنة ١٣ سنة في الرجال و ١٥ في النساء وفي السويد طال المعدل ١٧ في الرجال و ١٥ في النساء خلال ٦٧ سنة ٠ وظلت مدة الحياة خلال ثلاثين سنة في بلاد الهند على وتيرة واحدة وهذه النتائج هي ولا جرم ابنة علم الصحة وقد رقي هذا العلم جداً في المانيا وفرنسا وانكلترا وهو من ابنى ما يكون في بلاد الهند ٠ واستنتج الدكتور فيشر من ذلك ان ابن اليوم يعيش اكثر من اجداده على الرغم من كثرة عمله وشدائده فقد كان معدل الحياة في القرن السادس عشر ٢١٫٣ والقرن السابع عشر ٢٥٫١ وفي القرن الثامن عشر ٣٣٫٦ وفي القرن التاسع عشر ٣٩٫٧ ولم يزد معدلها في هذا القرن العشرين

وهذا التقرير قد قدم الى اللجنة التي عينها مجلس النواب في الولايات المتحدة فهو بمثابة مستند رسمي مهم للغاية وعلى ما في احصاءاته من النظر بعض الاحايين فان المقابلات بين الحالة الماضية والحاضرة التي حوته تجعل له مقاماً واهل السويد اطول البلاد اعماراً واقصرها الهند وبعبارة أخرى معدل الحياة فيها وهاك جدولاً آخر في طول الحياة عند الامم المختلفة

المملكة	احصاء	ذكور	اناث
السويد	١٨٩١ — ١٩٠٠	٥٠٫٩	٥٣٫٦
الدانيمرك	١٨٩٥ — ١٩٠٠	٥٠٫٣	٥٣٫٢
فرنسا	١٨٩٨ — ١٩٠٣	٤٥٫٧	٤٩٫١
بريطانيا العظمى	١٨٩١ — ١٩٠٠	٤٤٫١	٤٧٫٧
الولايات المتحدة	١٨٩٣ — ١٨٩٧	٤٤٫١	٤٦٫٦
ايطاليا	١٨٩٣ — ١٩٠٢	٤٢٫٨	٤٣٫١
المانيا	١٨٩٩ — ١٩٠٠	٤١٫٠	٤٤٫٥
الهند	١٩٠١	٢٣٫٠	٢٤٫٠

وهذه الارقام تختلف باختلاف الحالة الجوية والاجتماعية وان كانت عبارة عن تقديرات اخذت في اوقات تكاد تكون متقاربة و يختلف معدل الحياة ايضاً اذا نظرنا الى البلاد التي يهاجر منها اهلها او يهاجرون اليها فانه يطول و يقصر على نسبة الاختلاف

الذي يعرض لصحة المثقلين من الآدميين و يقول فيشير ان الراحة والسعادة تطيل حبال الآجال لاجرم ان من بلغوا المئة من الناس لم يكونوا كلهم اغنياء ولكن من لم يحرموا شيئاً من اسباب الراحة هم اقرب الى طول الاعمار من الفقراء فتعرى الموت اقل حركة في احياء الاغنياء في باريز منه في احياء الشقاء والفاقة

ولا يخفى ان الرجل او المرأة الذي هو بمأمن من الحاجة يطعم الطعام الجيد و يلبس اللباس الحسن و ينزل المسكن الصحي و يمتنع عن كل ما يؤذي صحته هو اقل عرضة الامراض من التعس الذي لا يجري على نظام مطرد في معيشته ولا يكتسي كساء واقياً ولا يتناول الطعام الذي يسد جوعته و ينزل على الدوام في منازل قذرة غير طاهرة . والامثلة على ذلك كثيرة في المدن الكبرى لان عملة المعامل يعيشون بالقرب من الطبقة العليا والوسطى حيث الرفاهية

وانك لترى اكفان الموتى تخرج من بيوت المحاويج في غلاسكو اكثر مما تخرج من بيوت سادت فيها الدعة والغبطة . ويكون المالكون في نيويورك وسائر المدن الصناعية الآهلة بالسكان على نسبة ما يتعاطون من الصناعات و بكون طرز معيشتهم فبيوت من التجار وارباب الصناعات ١٢٩١ في الالف ومن المستخدمين والموظفين ١٣٠٥ ومن ارباب الصنائع الحرة ومن العملة والخدمة ٢٠٠٢ ومن الصناعات ما يهلك به ارباباً كثيراً كالصناعات التي ينبعث عنها غبار متواصل او روائح تتقزز منها النفس وان الدواء المتواصل على تطهير الاماكن والمدن قد ادخل الصحة الى حيث كانت مفقودة الا قليلاً فنشأ من ذلك ان الارقام التي يوردونها بالقياس الى زمن لتغير كثيراً في كل احصاء يقع في الخمسين سنة

وهكذا نرى ان معدل الموت في خمس وعشرين سنة نزل في برلين من ٣٣ في الالف الى ٢٦ وفي مونيخ من ٤١ الى ١٨ وفي واشنطون من ٢٨ الى ١٩ وفي نيويورك من ٢٥٠٤ الى ١٨٠٦ وفي المانان حيث لا يجري احصاء الا في كل قرن كان معدل الموت ٤٥ في الالف فأخذ يختلف بين ٣٠١٤ و ٣٢١٦ و بديهي ان العوارض والحوادث التي تصيب الحياة فينشأ عنها هلاك كثيرين كالحروب والمصائب والغرق وغير ذلك قد يكثر بها معدل الموت ولكن ذلك لا يضر في هذه الاحصاءات لان الربح اكثر من الخسارة

والربح نشأ بالعلم لان الاولاد كانوا في الماضي يموتون كثيراً فبفضل الوسائط الصحية

الحديثة صاروا يرجون البقاء اكثر من اجدادهم ولطالما كان الخناق والحميراء والتواء الاعصاب والسعال وغير ذلك من امراض العفولية تهلك الاولاد فلما اخترع المصل والتلقيح وطرق التداوي المختلفة وارتقت الجراحة وكثر استعمال الكوكايين والديجيتالين ومضادات السميات ومضادات الفساد والمورفين خلصت نفوس كثيرة من الموت

وكان السل في الدهر الغابر يثير من الامراض العضالة فاصبح وان كان يهلك كثيرون الى اليوم من الامراض التي يتأتى التوقي فيها وما يرجح بعضي على العلم ويقضي على اكثر ممن يقضي عليهم الجدري والحمى التيفوئيدية والخناق والسرطان والزائدة الدودية والتهاب السحايا واذا ضوعفت العناية بالصحة يرجى ان يقل عدد الهالكين بالسل ٧٥ في المئة لاسيما في مسائل العدوى منه والنجاة منها وهكذا الحال سيفي ذات الرئة التي تكثر بكثرة تناول المشروبات فيهلك به ١١ في المئة من الناس واذا تركت اسبابه ينزل معدل الهالكين به كثيراً والحمى التيفوئيدية فقدل الهالكون بها منذ عشر سنين ومتى عرف الناس كيف يحلمون الماء المالوث ويبعدون عن لسع الذباب بشراهم لايبقى له اثر في الوجود . وسيكون كذلك نصيب الحمى القرمزية التي كانت تكشف جرائمها ومثل ذلك الجدري متى وقع تطعيم الناس كلهم وقد كان الناس في القرن الثامن عشر يموتون به قبل جنر (طبيب انكليزي اخترع التطعيم) كثيراً بحيث لا يقل الهالكون عن ٥٠ مليوناً ولا يزال يموت به قلائل جداً . وبذلك عرفت ان بعض الامراض العادية يمكن القاؤها بثاتاً وان غيرها يقل الرجاء في شفائها مثل التهاب البريتون والسرطان وربما اخترع العلم لها ادوية تستأصلها من الدنك بالبشر كما استأصل غيرها من الاوصاب والاوجاع

وقال جان فينو في كتابه فلسفة طول العمر ان الخوف من الموت كثيراً مايهلك المرء قبل الاوان فان المرء اذا بلغ قدراً من العمر يأخذ يتوقع الحمام كل ساعة ويزهد في الحياة فتسوء تغذيته ونومه ويجلب بيده رسل الهلاك فلو هزأ بالاربعين والثلاثين ابلغ المئة سنة لامحالة وقد جرى كثيرون على هذا النمط في الحياة فكانت النتيجة ان بلغوا المئة بصحة ونشاط ومن ارهبه تصور الموت يموت فيكون قد اضاع على امته شيئاً من حقوقها فيه واضر بها ضرراً اقتصادياً في مليون ونصف من الموتى كل سنة يمرض ثلاثة ملايين منقطعون عن الاعمال فيضرون بلادهم وذوو بهم مثال ذلك انك تجد في الولايات المتحدة ٥٠٠٠٠٠ مصاب بالسل نصفهم لايعملون عملاً اصلاً والنصف الآخر

يعمل نصف عمل وفي هذه الولايات ايضاً نحو هذا القدر من المصابين بعوارض في اجسامهم انتهم من الاعمال التي يتعاطونها والرجل الصحيح في الجملة يغترب عن العمل خمسة ايام في السنة لوقوعه في امراض عادية كالصداع ووجع الضرس والزكام فيضر بذلك الحالة الاقتصادية فلو عرف كل امريء واجباته نحو المجتمع لما اتى مايضر بصحته بتاتاً ورأى ذلك من فروضه الادبية والحكومات والبلديات والمشرعون مسؤولون عن كثير من الامراض التي تحدث من المسكرات والدخان لان الافراط كثيراً مايودي بصاحبه الى القبر . والحكومات في الغالب تنشط هذه الاصناف من المكيفات مخافة ان تصاب ميزانياتها بنقص في الديون العمومية او انحصار الدخان .

ولم تنتظم اساليب العمل في المعامل والمصانع الا منذ زمن قريب وكذلك لم تحدد اعمار العاملين والعاملات من البنين والبنات ولم ينظر في تقليل ساعات العمل والراحة الاسبوعية وبعض الامتيازات الا في بعض البلاد حصلت عليها نقابات العمال من المجالس النيابية بالوسائط الكثيرة .

وانهاك القوى وعدم توفر اسباب الراحة والصحة في المدارس وغير ذلك من اسباب طول الحياة لم ينظر فيها وزراء الامم ومجالس معارفها الا منذ عهد قريب وكذلك كل مايوفر على البالغين قوتهم فقد اطلقت الحرية المفرطة للناس يعملون مايشاؤن حتى اكد الدكتور فيشر ان ٥٠ في المئة يفقدون ١٠ في المئة من قوتهم الحيوية لانهم يسيئون استعمالها ولا يقتصدون فيها فان هذا الافراط يورث صاحبه اولاً اضطرابات عضوية ثم ينتهي بامراض عضالة يعقبها الموت لا محالة

وبعد فان الواجب لاطالة الحياة ان ترامى قواعد الصحة كل المراعاة فلتطويل حبل الاجل ينبغي اتقاء الامراض عَلَى اختلاف ضروبها وعدم التعرض لاقل الاوجاع اذ ربما كانت مقدمة للعظيم منها والحياة اشبه بسفينة لا تنجو من تأثير الانواء الا اذا كانت متينة من الاساس الى الرأس فالواجب عَلَى الابوين والمجتمع ان يعنيا بصحة الطفل منذ الولادة عَلَى الاصول الصحية وان لا يسمحوا بزواج المجانين والمدمنين كما يفعلون في ولاية انديانا فان الحكومة تحظر هناك كل الحظر زواج المعتوهين وقدماء السكيرين وكل من يخشى ان يكون نسلهم ضعيفاً هزيلاً وتشدد في ذلك كل التشديد ولا تعفو في ذلك عن احد وليس معنى هذا ان يسن قانون يسمح به للوالدين ان يقتلوا من اولادهم كل من لا يرجى فيه ان يعيش بقوة كما كانت الحال عند بعض القدماء ولكن العناية يجب ان

تصرف بحيث يقوى بالاساليب المختلفة كل طفل ضعيف ويأتي منه معمر حسن البنية نافع في المجتمع

لمعدل الحياة دوران الاول الطفولية والثاني الشيخوخة فالاولاد قد يعتنى بصحتهم في السنين الاولى من حياتهم اكثر مما يعتني الشيوخ فلو طبق هؤلاء على انفسهم نظام الصحة وطردوا من رؤوسهم الاوهام لطالت اعمارهم ورجي لها الهناء كما يرجى للاولاد واحسن مايجب في هذا الباب الرياضة الجسمية والحياة في الخلاء والابتعاد عما يهلك القوى

والموت يرصد الاقوياء والضعفاء على السواء وكل سبب صحي ينفع الاولاد ينفع الشيوخ لا محالة. حقيقة يجب ان تتمثلها جميع العقول ابداً وان تذكر في البيوت امام الصغار والكبار ويأخذ كل فرد نفسه بمراعاتها ولن تعرف حسنات المدنية الا متى رأى كل انسان من واجبه ان يعين على ابطال مقاومات الحياة في كل صقع وناد. ويعلم الناس اجمع ان الحياة مستودع سلمته الطبيعة الى ايدي الانسان وعهدت اليه انقاذه وتثميره والانتفاع به وقيمة الطفل فالبافع فالشاب فالكهل فالشيخ فالهرم في الاقتصاد هي هكذا :

سن	قيمته الاقتصادية
من الولادة الى سن الخامسة	٤٥٠ فرنكاً
من ٥ الى ١٠	٤٥٠٠ ف
من ١٠ الى ٢٠	١٠٠٠٠ ف
من ٣٠ الى ٥٠	٢٠ الى ٣٠ الف ف
من ٥٠ الى ٨٠	١٥ الف ف فنازلاً
من ٨ الى ١٠٠	٣٥٠٠ فرنك فنازلاً

بمعنى انه كلما زادت سنة في حياة الفرد او اشهر تزيد ثروة المجموع وسعادته وهناؤه والله يعلم وانتم لا تعلمون .

اشجار الغابات

نشر في اميركا كتاب مهم للغاية يخدم دروس تربية اشجار الغابات خدمة عظيمة وصف فيه مؤلفه المستر دوير بجلاء تام جميع عطور العالم منسقاً لها احسن تنسيق وقد صرف المؤلف خمس عشرة سنة متوالية في تأليف مصنفه فزار الحدائق والمغارس وغابات

العالم بأسره ويبحث في خزائن الكتب عامة مثل مكتبة باريز ولندن وبرلين وبطرسبورج وليدن ومدريد وفلورنسة وعشرين غيرها . وسيكون تأليفه خمس مجلدات ظهر الاول منها وسيكون الاخير فهرساً عاماً وتكتب الاصطلاحات بمدة لغات ومنها اليابانية والافاوات التي حواها الكتاب قد استلزمت ابحاثاً عظيمة بذل الجهد الجهيد في الحصول عليها فانك تسقط في هذا المصنف على مالا يخطر لك ببال من الاستعلامات ومنه تدرك مثلاً ان في ايطاليا ٢٥٠ حديقة للنبات وان النباتات التي وصفها هومبروس وفرجيل صالحة وان دانتي وسرفانتس وشكسبير قد عبروا احسن تعبير عن عامة الزهور التي تكلموا عليها وكان للشعراء اشجار يستحسنونها وذكروها كان يستحبه منها كيتي وشيلر وفيكتور هوغو ولامارتين وغيرهم من كتاب الامم . وفي هذا السفر افادات مهمة عن رموز الغابات ولغة الاشجار والاشجار المشهورة .

البلاط الصناعي

جربوا في هميورغ بلاطاً جديداً صناعياً وهو يحتوي على محلول كلورور المغنيسيا أضيف اليه مسحوق المغنيسيا ايضاً ونشارة الخشب يجفف فتأتي منه طبقة غليظة للغاية ومتينة كالحجر تحفظ الحرارة اكثر من البلاط الطبيعي ومنظره يشبه الفسيفساء .

المدفع الهائل

انشأت انكلترا مدفعاً بحرياً جديداً قطره ٤٠٦ امتار مربعة ويقذف ١٠٨٠ كيلو منها ٦٣ كيلو من المواد الملتهبة الى مسافة ٢٦ كيلومتراً وقذائفه تخرق اعظم بوارج دريدنوث المصفحة . ويعمل الامبركان مدفعاً يقذف مقذوفاته الى بعد ٢٦ كيلومتراً وقذائفه ١٢٠٠ كيلو فيها ٧٠ كيلو مواد منفجرة

السنور

كان للسنور في كل زمان شأن واهم شأن فكان العامة يكتسون بفروه في القرون الوسطى بالغرب واصبح فروه بجودة تحضيره العلمي من احسن ما يلبس وقد اخذ هذا العهد فرو الكلب ينافس فرو الثعلب في اسواق التجارة . ويرغب الصيادلة في فرنسا وفي الغابة السوداء في اقتناء السنانير البرية ليتداوى بها المصابون بداء المفاصل . وكان للقطط قديماً موقع مهم في اعياد الشعب يستعملونها في ملاهيهم فيعلقونها على النار وينظرون الى المها وهي تحترق وكان بعض الامم يعتقدون ان دفن قطط حية في اساس بناية تعرف بها متانة البناء . وكان ينظر الى القطة السوداء عندهم بان فيها سراً من

السحر . وكان المصريون ينظرون الى القطط بانها حيوان مقدس والمسلمون والهنود يحترمونها كل الاحترام . وقد صورها المصورون في كل عصر وعنوا باخراج مناظرها المختلفة . وللقطط منافع عظيمة في قتلها الجرذان والظاهر انها تتنبأ بالمطر يعرف ذلك من انتفاشها وتنظيفها وويرها ووضعها رجلها على اذنها .

المدن العظمى

ليست الحواضر والعواصم ابنة اليوم وتأسيس ساعة فقد تنبأت العصور السالفة بما سيكون من شأن المدن العظمى فكانت بابل مئة وعدد سكان رومية في القرن الثاني مليون نسمة وكان في قرطاجنة دور ذات سبع او ثماني طبقات وقد سن قانون في روما بناء على عهد فتروف لمنع تغطية الجو بالابنية وكان سكان ميلان في القرن الثالث عشر ٢٥٠ الفاً فضاقت المنازل بسكانها فاخذوا يفكرون في الخلاص مما صارت اليه حالتهم وكان معظم الشعب يسكن في ثكن عظيمة

لا جرم ان سهولة المواصلات الحديثة واختراع السكة الحديدية قد دعت الى هجرة الناس من الارياف والمزارع الى المدن والعواصم وكلما كبر حجم مدينة زادت اقدام المهاجرين اليها ففي المانيا زادت القصبات المحتوية على الف نسمة من سنة ١٨٧٥ — ١٩٠٥ مرة ونصفاً في المئة والمدن المتوسطة التي فيها ٢٠ الى ١٠٠٠٠٠ زادت ٣٤ في المئة والمدن العظمى التي فيها ثلثمائة الف ٣٠٠ ضعف في المئة واكثر ولاميركا القدح المعلى في انشاء المدن الحديثة فلم يكن في شيكاغو سنة ١٨٣١ سوى ١٠٠ ساكن وها هي الآن وفيها مليونا ساكن . وفي المدن الحديثة يخرج السكان من وسط المدينة لتحل محلهم البيوت التجارية . وكانت المدن في القرون الوسطى ذات زوايا بخطتها وشكلها اليوم على شكل النجم ويصل كل يوم الى مدينة لندرا اربعمائة الف انسان من الضاحية ولها خمسون كيلومتراً من الخطوط الحديدية للضاحية فقط ومدينة نيويورك مثال نقاط الاتصال في المدن فان محطة خطوط هودسون بناية ذات ٢٢ طبقة فيها ٥٠٠٠ نافذة واتساع رقعة المساكن وازدياد عدد السكان في المدن العظمى يقوي الدوام يقوي المواصلات وتسهيلها

الصحافيون والادباء

لم يكن الصحافيون في اوربا اصحاب اعتبار عند رجال الادب في اوائل القرن الثامن عشر ولعلما كان الفيلسوفان روسو وديدرو يشتدان عليهم وكان الشاعر

فاذا جرى ذكر الصحافيين بغتاظ و يشتم ولقد تردد بريد وكثيراً قبل ان يدخل ملك الصحوفة الخط وما العلة في مقت الصحافة اذ ذاك الا لانها كانت توسع مجالاً كبيراً لنقد الكتب الحديثة وكان الصحافيون نقاداً لا يبينون حسنات الكتب المؤلفة بل يكتفون بايراد سيئاتها واذا حدث ان اثنوا على كتاب فلا يلفتون نظر الناس الى تلاوته ثم ان كتاب المحف لم يكونوا من الطراز الاول بقرائحهم حتى ان جريدة العلماء في فرنسا التي كانت الى الجد والفائدة ابيل لم يكن بين مؤازريها من امتاز في العلم ولكن صحافة فرنسا خصوصاً دخلت عليها بعض تعديلات من سنة ١٧٥٠ الى ١٧٨ ولما عمت أصول الدعوة ونشر الافكار رأى الصحافيون ان جرائدهم احسن الوسائط للتأثير في نفوس الامة وهكذا اتسع أفق الصحافة حتى غدا يعزها اليوم من كان ينقزر منها امس واصبح مؤازروها في الغرب يتأهلون بمقالاتهم فيها لاعلى المناصب العلمية والسياسية

النفس الاسبانية

كتب احد من اقاموا طويلاً في اسبانيا مقالة في « المجلة » الفرنسوية وصف بها اخلاق الاسبانيين فقال انهم اقاموا بينهم وبين اوربا سداً كسد الصين عاشوا وراءه بمعزل عن معظم مافي ديار الغرب من مرافق الحياة واسباب المدنية وهم يفخرون باعتزالهم هذا وقلّ ان ساح احدهم الى فرنسا او انكلترا او ايطاليا اللهم الا اذا كان من الاسبانيين نزلاء بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية واء للجهل الذي عم الطبقات هناك الا قليلاً تروي جرائد اسبانيا عن ممالك اوربا اوهاماً وخرافات اشبه بما يروى عن بلاد الواق واق و يأجوج ومأجوج ولذا ترى صحفهم حتى الراقية منها مملوءة بالمطاعن فيمن يدعو قومه الى الاخذ عن الفرنسيس او عن الانكليز في الحضارة لان الاسبانيين موقنون بان عندهم كل شيء

دل التاريخ على ان اسبانيا نزلتها امم مختلفة منهم التارتازيون واللوزيتانيون والايبريون والسلتيون والقرطاجنيون والرومانيون والويزغوتيون والعرب والجيتانيون وان كل هذه العناصر بقي شيئاً من اخلاقها وعاداتها فمن السهل على اسبانيا الحالية ان تمزجها بعضها الى بعض (كما حدث في الممالك المتحدة وعناصرها) لاعتزال كل فريق في صقع من اصقاع البلاد لايخالط غيره و يرى الخروج في عزلته . ويقال على الجملة ان اهل اسبانيا من حيث التركيب الطبيعي والاخلاقي ينقسمون الى اربعة اقسام وهم الباسكيون في الشمال والقشتاليون والاراغونيون في الوسط والكاتالانيون في الشرق والاندلسيون في الجنوب . والاندلسيون

من اجمل الاجناس واطولها قامات واحسنها تراكيب ولا سيما سكان الوادي الكبير الذي كان له شأن كبير عهد العرب وسيفه سيريانيفادا تغلب النحافة على السكان وتظهر فيهم السحنات العربية كل الظهور . وفي اهل الاندلس من الافراط في الحرية والتساهل في الاخلاق مالا تجد له مثيلاً في الاصقاع حتى لقد يكثر فيهم الفحش واولاد الغفول ويقل فيهم الزواج واقليم كاتالونيا هو الاقليم الوحيد في اسبانيا الذي دخل في الحياة الجديدة وتوفر اهله على الزراعة والصناعة والتجارة معاً ومن يذهب من قشتالة او الاندلس الى كاتالونيا فكأنه فارق الموت ودخل في طور الحياة وسينهض الكاتالانيون غداً باسبانيا كما نهض البيونيون لمس بايطاليا

وذكر الكاتب ان الشحاذة في اسبانيا شائعة اكثر من جميع بلاد اوربا وان الشحاذين والشحاذات يطلبون الصدقات بملاطفة وقد يدعون على من لا يعطيهم كأن لم جعلاً يتقاضونه من الغريب خاصة وربما رشق بعض الفتيات من لم يعطهن شيئاً بالحجارة . وتشكو الصحف الكاثوليكية من ضعف الاعتقاد في الافراد ولا سيما في الرجال ويسمي الاسبانيون معاملة الحيوانات لقلة تربيتهم لا لشراسة في طباعهم الاصلية فانهم من اخضع الناس للقوة والاحكام يؤدون الاتاوات والخراج على صورة فاحشة ولا يتبسون بينت شفة وقلما تعهد لهم ثورة على الحكومة الا في كل قرن والمرأة غير موقرة كثيراً في اسبانيا كما هي في سائر اصقاع الغرب . فانما ومعظم هذه الاوصاف تنطبق على بلادنا الشمالية ولا تعجب بعد هذا اذا رأينا مراكش لم تتأثر بالمدنية الغربية على قربها من جوار اوربا فان اسبانيا وهي قطعة من هذه القارة كانت لصلة الدين واللغة والجنس الى ما تشبه بالاوربيين .

ارديا النوم

كتب احد نطس الاطباء في مجلة الصحة يقول الظاهر ان لحالة المعدة دخلا كبيراً في النوم ومن المعلوم انه يحدث أرق بعد الهضم المتعذر او نوم ثقيل قليل الراحة فان لحركة وظائف الاحشاء دخلاً معاً في اضطرابات النوم فالواجب ان تمنع عمن أصيبوا بالارق المشروبات المخمرة وفي كثير من الاحوال يمنع عنهم الشاي والقهوة على ان استعمال هذين المنشطين اوائل النهار لا يضر بالصحة . اما المرضى المصابون بفقر الدم فانهم يشفون من الارق بجلب النعاس الى جفونهم بان يقيلوا وقت الظهر فتساعدهم قيلولة النهار على النوم نوماً هنيئاً في الليل وتجب العناية بفرف النوم فان من اعتادوا ان

يناموا في كل فصل والنوافذ مفتوحة بؤكدون انهم ينامون نوماً جيداً يعوض اجسامهم ما فقدته في اتعاب النهار . والاستهواء من النفع ما يجلب الكرى الى عيون المؤرقين والمصابون ببعض الامراض العصبية وهم عرضة للأرق يكون لهم من العمل العقلي المنظم بعد راحة مطلقة قليلة نتائج حسنة فينامون نوماً هادئاً مقوياً تحتاج اليه اجسامهم

باريز ومستقبلها

نشر احدهم في المجلة مقالة في هذا الشأن جاء فيها ان باريز كانت بعدد سكانها في سنة ١٨٠٠ ثاني عاصمة في العالم فكان سكانها نصف مليون ولم تفقها غير لندرا وسكانها مليون واحد ثم تجيء بعد باريز موسكو وما زالت احوال العمران تزيد وتبسط ظله حتى اصبحت في العهد الاخير مدينة لندرا وسكانها سبعة ملايين ومدينة نيويورك ٤٧٦٦٨٨٣ ثم تجيء برلين وفينا وطوكيو وغيرها من المدن ليس لها شأن في القديم يذكر فقد كانت في اوائل القرن الماضي اكثر مدن اميركا سكاناً مدينة فيلادلفيا وسكانها لا يتجاوزون ال ٨٩ الفاً وهكذا زادت العواصم كلها بسكانها زيادة خارقة وباريز لم تتجاوز الثلاثة ملايين في حين كان اللائق بها ان تكون ثاني مدينة بعد لندرا فاذا خلت العناية بها فاترة لا تعمّ ان تمسي بعد عقود من السنين من اصغر العواصم فنقل رغبات اهل الارض في قصدها ولا تعود بلد النور ونتازعها في ثروتها التي يجلبها اليها السياح من القارات الخمس غيرها من العواصم الكبرى فستميل الى النزول فيها علماء باريز والمغنين من ابنائها لكثرة ما تبذله لهم من المال وعندها تسقط هذه العاصمة سقوطاً مريعاً

ويرى بعضهم ان قلة الرغبة في نزول الحواضر واعتزال الناس على الاشتغال باعمالهم الزراعية في القرى والدساكر هو خير للبلاد وابقى لان كثرة ازدحام الاقدام والانفاس مضرة بالصحة العامة والاحسن ان يتباعدوا ولكن هذه النظرية تعالج بشيء واحد وهو ان تبذل العناية بامور الصحة اكثر مما تبذل الآن ويضاف الى باريز ما في ظاهرها من القرى والمدن بحيث تعد منها وحكومتها حكومتها لا يدفع ابناؤها رسوماً (عوائد) ولا غيرها فتدخل في باريز تلك الحقول الواسعة والحراج الغناء في الضاحية ويساعد ذلك على تكبير ساحاتها العامة المفيدة في صحة السكان وبذلك تحفظ باريز مكانتها في اقطار العالم المتحضر لان ما تعده انكلترا من العدد لمستقبل لندرا من اعجب ما سمع ومن ذلك ادارة جر المياه اليها فانها ستكون كفيلة سنة ١٩٤٠ بارواء ستة عشر مليوناً من

السكان وكذلك ترى نيويورك ان سكانها سيتجاوزون سنة ١٩٤٠ احد عشر مليوناً . وهكذا ترى الافرنج يفكرون الى ما بعد عشرات من السنين ونحن نقول « ولك الساعة التي انت فيها »

مدارس المؤوفين

اذا عرض لاحد العملة عارض اثناء عمله كأن يفقد عضواً من اعضائه او ذراعاً او يداً او ساقاً او عيناً فان بلاد الغرب تكفلت لمن أُصيبوا بهذه العاهات ان تعلمهم صناعات يكسبون بها رزقهم ففي البلجيك أُنشئت عدة مدارس لهذه الغاية بفضل مال جاد به احد محسنيها واسمه باستور من اعضاء مجلسها النيابي فيعلمون من نكبوا من العملة بفقد احد اعضائهم في زمن قصير صناعة تقوم بعيشهم كالتجليد والمقوى والمناقش (الفرشايات) ومماسح الارجل مما يعمل عَلَى ايسر وجه بدون ان يكون عاملة تام الاعضاء فيوزع الجدع لميتورة اعضاؤهم بحسب قابليتهم عَلَى فروع مختلفة فمنهم من يستخدم في صنع السروج ومنهم في الاحذية وآخر في الخياطة وبعضهم في الاعمال الحسابية . وكل صناعة تجري تحت نظر معلم اكبر يعين نوع العمل ويراقبه ويدفع اجوره بعد الثلاثة الاشهر الاولى من التعلم وتطول مدة تعلم الاجذم او الاكتع بقدر ما يستطيع استخدام اصابعه او بعضها فقط فان من فقد السبابة (الشاهدة) يتعذر عليه العمل فبقدر صغره يتوصل الى استخدام ما يقوم مقامها من اصابعه ومن فقد يديه يتوصل الى ان يعمل بسرعة منافس للشباب وغيرها مما يشابهها وفي مونيخ وبرنسدام وهمبورغ من بلاد المانيا مدارس كثيرة للمؤوفين وانتشر هذا النوع من المدارس في الدانيمرك ويرد عهد انشائها الى سنة ١٨٧٤ وقد بلغ عدد من انقذتهم من العملة بتعليمهم ما يلزمهم نحو ستة آلاف فمنهم من جعلت له ايد صناعية وآخر اذرعة والنساء في مدارس المؤوفين في فرنسا يعملن علباً وكوات (لباجور) وتجاليا

الزنوج

تبين من احصاء وقع في الولايات المتحدة سنة ١٩١٠ ان فيها نوعاً عجيباً من الزنوج تكون بشرته سوداء عَلَى اختلاط دمه بالدم الابيض فقد كانوا فيما مضى يقسمون الزنوج الى اربعة انواع اكتورون Octeron وربع زنجي وخلاسي واسود وتكاد هذه الميزات الآن تفقد بتة ويخلفها جنس يشبهها ليس هو الجنس الزنجي الخالص السليم بل مؤلف تأليفاً آخر يدخل في دمه الثلث من دم ابيض ولكن لونه لا يشاهد محسوساً

ويوصف هذا النوع من الزنوج بظهور لون جلده . وان لون الزنجي في لوزيانا واوديان الجديدة لمشرب مشبع اكثر مما كان عليه لون اجداده قبل حرب الغاء الرقيق او من الزنوج الواردين من افريقية وسواده يلمع اكثر من زنوج الكونغو وسيماؤه افريقية ظاهرة بعض الظهور واشداقه كبيرة وشعره اقل صوفاً . ويصعب تعيين اسباب هذه الخصائص ولكن معظمها ناشئ من تغيير شروط الحياة . والزنجي الاميركي هو في العادة اقل قوة من الزنجي الاصلي واقل تحملاً من الزنجي القديم . وزعم احد الباحثين في خصائص الزنوج انه ربما لا يوجد في شمالي اميركا زنجي واحد يكون دمه خالصاً وان الزنوج ليسوا زنوجاً حقيقية وان جميع السود قد تبدلت دماؤهم وسحناتهم . ومنذ تحرير العبيد الغيت الطريقة التي كانت متبعة في الزواج بانه لا يسمح الا بزواج المتناسبين في القوة ولذلك ضعفت تراكيب الزنوج الطبيعية . وشعر الزنوج انفسهم بذلك حتى قل تزاوجهم بالبيض او المولود ولكن هذا النوع من السود قد تغلب اليوم ويرجى ان يعود بالتحسين مع الزمن الى سابق قوته ورجوليته

كانون التبريد

اكتشف كراهام بل مخترع التلفون ومصلح امور كثيرة في الطيارات السماوية اكتشافاً حديثاً يتبرد به الانسان في شهور القيظ وهو داخل حجرته فصنع ما سماه كانون التبريد والجليد فكان يتبرد بها في شهر آب الماضي في مدينة واشنطون بينما كان الناس يضيقون من الحرارة ذرعاً وذلك بان صنع آلة عجيبة سهلة يتأتى لكل امرىء ان يعملها بدون كلفة وذلك لان المخترع اذاع سرها ولم يأخذ بها امتيازاً كسائر المخترعات وهوانه وضع على اطار نافذة الغرفة مروحة على شكل المراوح المتعارفة تتحرك على الدوام بمجرى كهربائي ويتأتى اخذ المجرى من آلة المصباح الكهربائي فيحدث من ذلك ريح بليل تحكم جريانه الى أنبوب واسع يدخل منه الى صندوق متسع بعض السعة تجعل فيه كتلة من الجليد ويخرق الصندوق خرقين يجري فيهما المجرى الجليدي الذي ينشر في الغرفة التي تكون مقفلة ويكون من الهواء البليل الناشىء من المروحة والمار على الجليد رطوبة غريبة للنفس وتقوي الحس . ولقام هذه الآلة بنفقة قليلة ولا تتطلب من انواع الاحتياط الا ان يغير جليدها كل يوم . وسيتوفر الاستاذ المخترع على بسط اختراعه اكثر من ذلك وادخال تعديلات عليه ليتمكن معها كل انسان من استعماله ويكون للفنادق ومحال القهوة حظ كبير من هذه الآلة الجديدة يبردون بها زبائنهم وضيوفهم

دروس السيسمولوجيا

السيسمولوجيا علم حديث النشأة فما من احد يعلم علّى التحقيق اسباب الزلازل وكيفية انتشارها على سطح الكرة والاشارات التي يتأتى الانتباه بها للزلازل قبل وقوعها وهذه الابحاث لا تهم من تصاب بلادهم بالزلازل تفاديها هذه الاحداث الجيولوجية وتراوحها بل تهم الانسانية لانها تفاصي منها الاهاويل ولذا اخذ العلماء منذ ربع قرن يبحثون في اسرار الزلازل وآخر مؤتمر عقد في منشستر تاب فيه كثير من اهل هذا الشأن في الامم ولا سيما من الممالك التي يكثر من اصابها بهزات ارضية فشرح احد الاميركان اسباب زلزال سان فرنسيسكو وشرح احد اليابان اسباب زلازل بلاده فتبين على الجملة الآن ان الارض تهتز في اي نقطة كانت كل نصف ساعة على الاقل وتتجلى هذه الهزات غالباً في مناطق معينة فقد حدث في يابان منذ سبع سنين ٨٣٣١ زلزالاً اي نحو الف زلزال في كل عام وهي تحدث في محيط من الارض لا يتجاوز بضع مئات من الكيلومترات المربعة ولكن الاهتزازات تتوالى على الارض كلها الى ابعاد نائية . وبعد ان أُصيبت يابان بزلزال بوكوهاما في شباط سنة ١٨٨٠ اجمع رأي العلماء على ضرورة انشاء جمعية دولية تبحث في سر الزلازل والقائها فعهد عامة الامم الى الاشتراك وسيء المقدمة روسيا وايطاليا . وقد اقترح احد اساتذة ستراسبورغ (المانيا) ان يقام مكتب للزلازل يعمل بمعاونة ثلاثة وثلاثين قطراً مختلفاً على تبادل الملاحظات وينشر كل سنة فهارس بالزلازل ويعنى بوضع مصورات للزلازل تكون مستنداً نافعاً جداً لوضع الاسلاك الهرية وانشاء البيوت فتعين فيها النقط التي تخلو من خطر الزلزال وبفضل هذا العمل المشترك يظن بانه بات يرجى عما قريب ان ينتبأ بالزلازل قبل وقوعها ويتحامى ما ينشأ عنها من المضار

الاسرة في اميركا

ظهر بالبحث والاستقراء ان نساء الولايات المتحدة ولا سيما من كان منهن من الاميركيات الاولى هن اقل النساء نتاسلاً وان غير الاميركيات من نزيلات الولايات المتحدة هن اكثر نسلاً وفي مقدمتهن المرأة البولونية فان معدل اولادها ٦٩٢ ومعدل الاميركيات البيض ٢٩٧ ويجيء بالكثرة بعد البولونيات نساء النمسا ثم الالمان ثم الانكليز

ابادة الجرذان

معلوم ان الجرذان تفسد بالحقول في سني الجدب خاصة وتأكل الحبوب والنباتات

وقد كان معول ارباب الزراعة عَلَى النمس يربونه ويدربونه عَلَى التهام الجرذان ولكن النمس يسطو ايضاً عَلَى الطيور وغيرها من الهوام النافعة وربما كانت القطط والكلاب انفع في ابادة الجرذان خصوصاً اذا كانت هذه قريبة من تلك لصيدها عَلَى ايسر سبيل. وقد اعتمد بعضهم عَلَى كربونات الباريوم في تسميم الجرذ وآخرون عَلَى سم دانيس وهذا السم يسري من المسموم به الى غيره من الجرذ السليم فلا تلبث ان تهلك عن آخرها خصوصاً اذا وقع تحضيره في الاماكن التي يجري التسميم بها لانه ظهر انه يفسد بعد شهرين من عمله فاذا حمل الى القاصية ضاعت فائدته وهم الآن يبحثون في اقرب الطرق للانتفاع به فاذا صحت تخدم الزراعة والنبات خدمة مهمة

النساء العاملات

انشأوا في الغرب منازل للفقراء الرجال من العملة يستأجرونها بثمن بخس جداً وفيها مرافق الحياة واسباب الراحة وقد كانت انكلترا سابقة غيرها في هذا السبيل فانشأت بلدية منشستر وغلاسكو فنادق للعاملات فيها مئات من الغرف تكري الواحدة منها في الليلة من ٧ الى ١٢ فلساً وتربح البلدية اربعة بالمئة من ريع هذه الفنادق التي تساعد العاملات وتفكر بلدية لندرا في انشاء مثل هذه الفنادق كما سبق لها ان انشأت وانشأ الافراد بيوتاً رخيصة

احصاء الجنسين

تبين من الاحصاءات الاخيرة ان عدد النساء لا يزيد كثيراً عن عدد الرجال في المانيا والزيادة ثمانمائة الف امرأة فقط وما قبل من قلة الزواج لم يصح لان ٩٠ في المئة من النساء يتزوجن ولكن العجيب ان بلد في العادة اولاد ذكور اكثر من الاناث وموت المرضعات يؤدي ابداً الى نقص الذكور من الاطفال

شرب الشفة

ما برحت الشعوب المتحضرة تبحث منذ الازمان الموغلة بالقدم في الطرق القريبة لجلب المياه الى المدن فقد كان حمورابي يوزع المياه عَلَى بابل من احواض جعلها وسط هذه المدينة وعيون المياه في صور واحواضها في القدس كانت من اهم ما عرفه القدماء في توزيع المياه للشفة وان مجرى الماء الذي أُنشيء في جزيرة ساموس هو اليوم من اجمل اعمال الصناعة في هذا الباب وكان الرومان يتفننون في جر المياه وما شوهد من آثارهم والمجاري التي اقاموها في كثير من انحاء مملكتهم تدل عَلَى براعة زائدة . ولطالما

كان ابقراط ابو الطب يحذر معاصريه من اخطار المياه القذرة الملوثة وتابعه على رأيه كثير من الاطباء وقد كانوا في اوربا خلال القرون الوسطى يحظرون القاء القذر في الينابيع العامة والآبار وكان معدل ما يلزم الرجل كل يوم في المدن من الماء ١١٤ لتراً في رومية في حين ان الباريزي اليوم يصرف ٢٠٠ لتر والهندي ١٨٠ والفيناني ١٠٠ لتر والماء الذي يستعمل في الصناعات غير محتاج الى التصفية والتطهير بالنفقات الباهظة ولذا ينصح علماء الصحة ان يجري الماء الى العواصم الكبرى في مجريين مختلفين على الاقل احدهما لشرب الشفة يكون طاهراً نقياً والآخر للصناعات والسقيا والرش يكون ماؤه عادياً

الحرف والحياة

تبين من احصاء جرى في بلاد الانكليز ان رجال الكنيسة اقل موتاً من جميع ابناء الحرف والمهن واكثر الناس موتاً العملة الذين لم يتعلموا مهنهم على الاصول وبعد الكهنة والقسس يجيء ارباب الحدائق والمزارعون بطول اعمارهم وقلة زيارة الحمام لهم وبعد ذلك يكون دور الميكانيكيين والوفادين في الخطوط الحديدية . وتطول اعمار ارباب الصناعات النظيفة الذين يتعاونون ويكثر فيها المعلمون . واهل الصناعات التي تستلزم قوة كثيرة ويتعرض اصحابها لمخاطرهم مستخرجو الحطب من الغابات والمجربة فانهم يموتون اكثر من غيرهم ومثل ذلك يصيب ارباب الصناعات التي تؤدي الى السكر كباعة الخمور وتجارها

الهلام النباتي

الهلام او الجلاتين نوعان منه ما يستخرج من الحيوان ومنه ما يستخرج من النبات فالاول يكون باغلاء جلود الحيوانات والعظام والاوتار والغضاريف في الماء الحار والثاني يستخرج من مواد متنوعة نباتية بطريقة مشابهة لتلك وتصدر تروج اليوم هلاماً من نبات لا يستعمل غذاء بل يدخل في استعمالات اخرى فاذا صفي وبيض يستعمل في صقل الجوخ وفي بعض استحضارات أخرى ويستخرجونه من الحث (نبات الماء) الذي يكثر على شواطئ تروج فاذا حل جزء من عشرين جزءاً من هذا الهلام يكون منه هلام جيد ويباع حبوباً صغيرة لونها اسمر تصفر وتبيض فاذا حلت بالماء تنفخ الحبات وكثير من انواع الحث الحلوة الطعم تحتوي على هلام يستعمله الفقراء في اوربا غذاء ويعملون منه رُبّا وهو منتشر كثيراً في بلاد يابان ويصدرون منه خارج بلادهم

ويزرع الحث في ارخبيل ياپان واشتهرت جزيرة يزو بهلامها و يمزج الجلاتين الياباني في الحساء الصيني المعمول بالسنونو ويباع منه في ياپان بما قيمته مليونان ونصف من الفرنكات

متوسطو القرائح

كتب ما كس نوردو من علماء الاسرائيليين مقالة في المجلة الباريزية تحت هذا العنوان نقال ماحصله : احسن ماتهبه الفطرة للطفل منذ يوم ولادته ان تجعل له قريحة رائقة فهي اجمل الهبات بل آكد التعاويذ في نيل سعادة الحياة من الغناء والثروة . لا جرم ان القريحة تزين مشاهد العالم اكثر مما يزينها شرف المولد وجلالة المراتب فبها تستميل العواطف العادية في تصور الحقيقة الى عواطف انس وهوى وبها تتسع الثقة في القوة العاملة في شخصية المرء .

ولك ان تحكم على قدر القرائح وتأثيراتها بما يصيب العظماء وارباب المكانة في هذا العالم من الفرح والحب فيتوفرون عليها اذا احسنت بها اليهم الفطرة فقد كانت الملكة فيكتوريا صاحبة انكلترا تجد سبيلاً بين مشاغلها الكثيرة من تولي امر ٣٠٠ مليوناً من البشر ان ترسم على الورق والمقوى الرسم الملون (Aquarelles) وكان ابن عمها ملك البرتغال يصور الاقمشة والاقمشة التي تخرج من منقاشه اذا عرضت في المعارض تعرف من بين غيرها و يدرك الناقدون ان يداً تخلت عن الصولجان ساعات لتمسك المنقش . وترى الامبراطور غليوم يرسم و يصور وينظم بعض الاناشيد والاغاني في آونة الفراغ وخال والدته الدوق ارنست الثاني ساكس كوبورغ قد ألف قصة باناشيد ابيزها للناس في دار التمثيل بقصره باسم مستعار وكان يجد لذة بين مشاغله ان يمثل التمثيل المضحك . وكان ماكسيليان امبراطور المكسيك النعس الحظ شاعراً وقصائده الغنائية تدهله بالغيرة وباحقية جهاده . واصدرت الارشيدوقة لويزدي توسقان مجلداً في الشعر بدل على انه كان في رأسها الاصهب مكان للاوزان والقوافي الشعرية .

واذا نزلنا قليلاً في درجات ارباب العروش ونظرنا الى اهل الطبقة الاولى في المجتمع نجد غواة البدائع والفنون كثيراً عديدهم فان الكونت بوست الذي يعزو الى نفسه المشكلة النفساوية المجربة كان يكتب بالفرنسوية قصائد رقيقة تنبئ عن اغراض عالية والدوقة ولية العهد دوزيس تعمل نصباً وهياكل حسنة .

وللمعامل الكبريات في باريز منذ بضع سنين ردهة سنوية يسقط الناظر في قائمتها على جميع اسماء الفبلات ونساء الكبراء ولا يقبل فيها غير رسوم رسمتها انامل بنات الاشراف مبتهجين امام ما صنعته ايدي ازواجهن البيضاء

ولجميع الاعمال الحرة ايضاً مجتمعات قدرسمي المحامين والقضاة والاطباء والممثلين والصحافيين يعرضون فيها ثمرات حبهم للصنائع النفيسة من نقش ورسم وحفر ومنها يستدل على مبلغ ولوعهم بالرياضات البدنية ولوعهم بتشغيل عقولهم . لا جرم ان جميع غواة الشعر والموسيقى والفنون ينظرون انصراف اذهانهم الى هذه الصناعات الجميلة خارجاً عن عملهم يتلهون بها فقط زيادة على ما أخذوا انفسهم به من الاعمال . ما دل على ان القريحة الصغيرة او النصف القريحة تعد من البركات اذا نميت لذاتها فقط ولما فيها من النفع ولما لها من الوقع . ولكن اذا اضاف امثال هذه الطبقة الى عملهم علماً وطبعاً جاء منهم اناس يغضبون و يبأسون لانهم لم ينجحوا فيما هم بسبيله نجاح من استعدوا لهذه الصناعات بالفطرة ويرزوا فيها فاقبل الناس عليهم واعجبوا بما ترسمه يدهم الصناع . القريحة كائن يقوم بما يقوم به من العمل في العادة احسن من السواد الاعظم الذي يحاول الحصول على ذلك الاستعداد . والمادة الاصلية في القريحة الفدوة والتقليد و يتأتى للقريحة ان تعلم الى حد محدود وفي مكنة كل رجل اعتيادي ان يجعل له قريحة وما القريحة الا بتعهدها وهي صورة حية من آثار النظر فيها والقريحة تتعهد في عهدنا بحيث يأتي من كل اثنين واحد ذو قريحة ولكن الانتفاع من ثمراتها انتفاعاً مادياً غير مضمون بل يتعلها كما يتعلل الناس مايوشلهم لاخذ الشهادة العالية في مبادىء العلوم فينال الشهادة المتعلون ولكن لا يغنين لم رزقهم منها بل هي اداة لتمدينهم

ويجب ان لا يعتقد من يستطيع نظم بيت انه شاعر ولا من يمس القلم والريشة انه مصور او نقاش فان هذا الاعتقاد حمل كثيرين على اعتقاد الكفاءة في انفسهم وعتبوا على الدهر لانه لم يعطهم حقهم من النجاح ووهموا بانه يستحيل عليهم ان يرزقوا مما لم يتقنوه اتقان النابغين له ولا يقدر قدر ذلك الا من يدخل المخازن وقاعات الصناعات فيرى ادعياء هذه الصناعات يعرضون ما خطوا ورسموا وبئس ما يريدون ان يشتروا به ثمناً ولو قليلاً و يحشرون انفسهم في عداد العاملين والنابغين . وليت اولئك الادعياء علم ما لا يعلمون اقسموا رزقهم من خدمة محال القهوة او صنع الاحذية اذاً لرفعوا رؤوسهم في صناعاتهم بدون ان يوهموا انفسهم بان لهم قريحة حسنة و يداً صناعاً .

وترى الدعوى ايضاً اكثر شيوعاً في الادب فان عشرين الفاً من الناس يدعون الشعر والكتابة وقليل منهم من لم يكتب وينظم ويؤلف قصة او قصيداً وهم متوسطون فيما يخطون وبقي تسعة اعشارهم خاملين لا شهرة لهم الا في دائرتهم الضيقة وكم يقاسون من الالم يوم يحكم الناس على المجيدين منهم ويشهدون الكتيبين واعلانات دور التمثيل والجرائد والمجلات لا تذكر الا غيرهم من النابهين النابغين وهم قلائل بواتيهم الحظ ويحمل جمهوراً كبيراً ولا غرو فالمجيدون في الآداب كالمجيدين الحارقين للعادة في الصناعات النفيسة اندر من الغراب الاعصم والكبريت الاحمر .

وبعد فاطلب لكل من تريد له الخير ان تعرى نفسه كل التعرية من القريحة كلها فذلك خير له من ان تكون له قريحة نافية يرافقها طمع فيه وهو طمع يضر بالنابهين ولا يفيد الآخرين من الخاملين

الفيل في الكونغو

يقدرون عدد الفيلة في افريقية من ثلثمائة الى اربعمائة الف فيل يقتل منها كل سنة نحو خمسين الفاً لاخذ العاج منها وقد اتخذت اساليب كثيرة لوقايتها مخافة ان ينقرض نسلها فحظرت بعض حكومات افريقية من الادريين صيدها بالنار او بشراك وان يقتل اناثها وصغارها التي يكون نابها اقل من خمسة كيلوغرامات وتحمى الفيلة في معظم اصقاع افريقية يحمل الناس اثقالهم فيحمل الواحد منها ما لا يحمله ثلاثون او اربعون زنجياً والفيل في افريقية كما هو في الهند مورد ربح لصاحبه يساوي الواحد ٢٥٠ ليرة ودخله من ١٥ الى ٢٠ ليرة وهو يحرث الارض ويفتح الطرق وله غير ذلك من الفوائد

صناعات النساء

تزداد الصناعات التي ينصرف اليها النساء في بلاد الغرب اليوم بعد اليوم ويقبلن خاصة في الصناعات الاجتماعية . ولقد ابرزن في هذا الباب صفات فائقة وكانت جذوة هذا النور منبعثة من المانيا وانما . فقد عهدت بعض مدن النمسا مثل فينا وغراز وبراغ ولمبرغ وبرون الى النساء مناظرة العمل في الصناعات التي يشتغل بها العاملات من بنات جنسهن خاصة وانشأ مجلس ولاية بومرانيا في المانيا مهنة جديدة للنساء يعهد اليهن ان ينشرن بين سكان الحقول مبادئ تربية الاولاد (Puériculture) والاقتصاد الاهلي وحفظ الصحة والعمل البدوي وغير ذلك . وعينت مدينة اونابروك في المانيا امرأة للعناية بالفقراء والنظر في احوالهن ورأت بلدية كيال في المانيا ان تعتمد

على النساء لمقاومة الالكحول وانقاذ من أصيبوا بتعاطيها فعينت عشر نساء لمعونة المدمنين والتأثير فيهم فاسفر عملهن عن احسن النتائج . وعينت حكومة الدانيمرك احدى الاوانس مفتشة على مطاعم المدارس في القرى .

و يزداد تعيين النساء في الشرطة بصفة مساعدات وقد انشأت فنلاندا — وهي مرقية جداً من حيث الاصلاحات الاجتماعية وان كانت مضطهدة من حيث احكامها — سنة ١٩٠٧ ثماني وظائف لمعاونة رجال الشرطة تولاها النساء وهن يقبضن رواتب كرواتب الرجال واهم ما يعهد به اليهن انقاذ النساء والبنات مما يطرأ على اخلاقهن ارجاعهن الى حظيرة العمل الشريف ومحاربة الاتجار بالرقيق الابيض وان يحملن المجوزات والاولاد الذين لم يوزعن حفظاً من التأديب في اماكن لائقة وقد ظهرت فوائد ذلك كله حتى ان فنلاندا عزمت ان تنشئ وظائف مثل هذه في جميع بلادها وما زالت المدارس الزراعية للبنات تتكاثر في معظم بلاد الغرب وبها تهيأت مهن جديدة لهن فان الجمعية الزراعية في جنوب افليم سواب من المانيا قد انشأت مزرعة لتربية الطيور Aviculture على الاصول الحديثة عهدت بادارتها الى امرأة وتقام فيها دروس خاصة بالنساء فقط

واحدثت نظارة التجارة في انكلترا عدة وظائف مديرات لمكاتب وسعى لاستخدام عملة للزراعة . وشعرت بعض البلاد الالمانية بان النساء يقتضي عليهن العوم والسباحة ولكن قلة الاساتذة من بنات جنسهن متعهن عن هذه الرياضة الجسدية المهمة فانشأت جمعية هناك تعلم الفتيات اللاتي عقدن العزم على تعلم السباحة و بعد ان يفحصن ينلن شهادات مؤذنة بكفاءتهن . وللنساء في المانيا شأن كبير في بيع الكتب فان عددهن فيها يبلغ ١٢٠٠٠ اي اكثر من ربع من يشتغلون بهذه التجارة . وقد اخذ النساء في المانيا في العهد الاخير يحترفن بالتجارة وصنع الجعة والنقش والتقليد والحلاقة والخياطة وعلى كثرة من كن منذ زمن يتعاطين الصناعتين الاخيرتين كان من المتعذر عليهن في المانيا ان يعملن محاميات اما الآن فهن في حل مما يردن .

وفي فينا نساء يصنعن الزجاج و ينلن بصناعته شهادات تؤذن بكفاءتهن ومن النساء من يتعلمن صناعات الساعات . ومن النساء النبيلات في انكلترا من اقتحمن اوهام محيطهن وقمن لادارة المشروعات الاقتصادية وكثيرات منهن الآن مديرات لفنادق كبرى و لبعضهن محال لقص الشعور والتسييل وعمل المربيات . وقد احدثت النساء في اميركا حرفة جديدة وهي تنظيم السهرات فيعهد الى بعضهن ان يقمن بلوازم ليالي الانس

والفرح . وكثرة عدد النساء المستخدمات في السكك الحديدية وادارات البريد حتى عدت بروسيا مثلاً ان تشغل باستخدام النساء في بعض الخطوط الحديدية على شرط ان يكن ساعات عملهن مساوية لعمل الرجال ولكنهن يقبضن نصف الاجور التي يتقاضونها . وقد هو لائحة قامت مؤلفة للانديد الوطنية فاصبحت مديرة جوقة مشهورة وبزت الرجال في التأنين . وهكذا يعمل الغربيون رجالهم ونساؤهم كل بحسب قوته وغنائه فمتى يقتبس الشرقيون كل آثارهم النافع من هذه المدينة المدهشة

الحس في النبات

يظن بعضهم ان النبات لا احساس له كما للاحياء وذلك لانهم ينظرون اليه بالعين المجردة فيقع في نفوسهم انها احط في الاحساس من نباتات البحر وانت اذا عمدت الى نبات الالوة Aloès الكنادي الذي يطلع في المياه العذبة ويتأتى له ان يعيش بدون جذوع ونزعت منه ورقة بمقص وفحصتها بالمجهر ووضعتها في صحفة فيها نقاط ماء لاتلبث ان ترى فيها خلايا مستطيلة قليلاً فيها عدة اجسام مدورة خضرة وحبوب الكلوروفيل كل ذلك ساكن لا يتحرك حتى اذا مضت خمس دقائق او عشر او خمس عشرة دقيقة ترى فيها تلك الحبوب تتحرك حركة قليلة اولاً ثم تزيد وتتراءى لك الحبوب تسير على طول الصفحة يتبع بعضها بعضاً ثم تعود الى محلها الاول في دقيقتين ثم في دقيقة هكذا تدور في كل خلية ومنها مايذهب ذات اليمين ومنها ذات الشمال ومنها مايسير بسرعة ومنها ببطء

كل هذا مما يدل دلالة ظاهرة على وجود الحس في النباتات واعظم تلك الجوارح فيها النظر الذي به ترى النور ولا تميز بين المرئيات كما هو الحال في ديدان الارض وشمك البولان (الحار) والمرجان وغيرها التي ليس لها حاسة النظر ولكنها تشعر بالاحتكاك الذي ينالها من اشعة الشمس اذا أصيب بها وما شبهه للحيوانات لماذا نسلبه عن النباتات .

ومن السهل ان نبين تأثير النور في النبات وذلك بان نغرس نباتاً في مكان ليس له سوى نافذة واحدة من جهة واحدة فترى سوقها وهي تنمو تتجه نحو النافذة مما يدل كل الدلالة على انها تحب الشمس وهذا الحس من الساق بالنور يوجد في الجذع ولكن هذا لايحب النور ويهرب منه شأن من قويت فيهم حاسة النظر فانهم يستظلون من الشمس عند ما تحمى جمرتها واوراق النبات تتعرض للريح في النهار وهي تنام في الليل فتغير حركتها ومن النبات مايرى فيها ذلك محسوساً كأثر هازهر العسل وعصيفرة Chèvrefeuille Capucine والحث او نبات الماء يسهل ان يدرس فيها تأثير النور

واللمس هو من الحواس المشهودة في النبات وترى المستحية Sensitive لادنى لمس يترك وريقاتها بعضها فوق بعض و يعلق اوراقها نحو الاسفل وقد علموا ذلك بان هذا النبات متى مس يغادر الماء حواسها ليذهب الى الساق فينقبض هذا وهناك نبات آخر اسمه طراد الذباب Dionée attrap - mouche هو من النباتات التي تلحق الاجسام المجاورة مثل الكرم والبطيخ فاذا لم يجد في جواره ما يعرش عليه يخرج مستقيماً . وفي الزهور ايضاً اجناس كثيرة تحس باللمس . والذوق يوجد في النبات ولا سيما في الخث او نبات الماء فانه محسوس فيه فاذا وضع في الماء اجزاء ذات طبائع مختلفة لايجاب الخث اليه وذلك بان يخرج في سطحها مخترقاً ماعداه . اثبت العلماء النظر واللمس والذوق للنبات وربما لايلبثون بعد البحث ان يثبتوا لها قريباً الشم والسمع فسبحان من خلق من خلقه اناساً يفكرون الليل والنهار في تعليل هذه الكائنات وزهدنا في كل نافع فاحتقرنا كل علم .

الجنس الابيض

البحث في اجناس البشر من اهم المباحث الحاضرة ويقولون ان الجنس الابيض يسعى ليكون حاكماً على بقية الاجناس وان يكونوا تحت سلطته وملكه وهذا من الابحاث الاستعمارية فكل جنس من الابيض يطالب استعمار هؤلاء وهذا ماحدا بالمسيو جونستون ان يتجشم الصعوبات والاسفار الشاسعة ليوفق الى حل هذه المشكلة العظيمة . قال بعد توطئة لهذا البحث هل في وسع الجنس الابيض ان يسكن البلاد القطبية ؟ كلا هذا امر مستحيل اذ الاقليم هناك يمض جسم الابيض حتى يقتله . والابيض قليل النسل بالنسبة الى هؤلاء ولكنه يبقى بتربيتهم اولاده وكذلك يستحيل على الابيض ان يقوم بالاعمال الشاقة في البلاد الحارة

فوق الاوربي اهل هذه الاجناس باعتنائه بصحته والتوقي من الامراض ولكنه لا يمكنه ان يعيش في اقليمهم كما قدمت سابقاً . ان الاختلاط ببقية الاجناس مفيد جداً ونرى نتيجته الحسنة في سيبريا من اختلاط الروسيين بالجنس الاصفر المغولي ولكي نستحكم روابط المودة بينهم يجب على الجنس الابيض ان يعاملهم معاملة حسنة بالمساواة والاحترام ولا ينظر اليهم نظر الاحتقار ومن الخطل ان ننظر الى جنس الاصفر والاسود والاحمر ونحكم عليهم بالنقص في جسدهم وعقلهم اذ ربما فاق الابيض فهذه الامة الصينية واليابانية هي اليوم غيرها بالامس وكذلك الزنوج لا يطول امرهم وهم على هذه الحال من التأخر

ان هؤلاء يتأثرون ويخفون في صدورهم البغضاء عند ما يقرأون في جرائدنا وكتبنا الحملات القادحة التي نحملها للحط من اقدارهم ولا بد ان يأتي يوم قريب ونرى انفسنا تحت حكومة هذه الاجناس وسلطتهم ، يلزمنا زمن لمعرفة معنى الاخاء الحقيقي حتى نتلطف مع هؤلاء ونعاملهم معاملة حسنة اذ الانسانية تقضي علينا ان نعامل المخلوقات باحترام ورفق . لاجل احترام هذا المبدإ يجب ان نبحث ونتدين بدين يكون عاماً للبشر خالياً من الوضع والبدع الجنسية ويمكن ان تكون هذه الديانة المسيحية ولكن بعض اربابها يتكالبون في الاستيلاء على مراكش والكونغو وغيرهما من البلاد .

الفنادق في سويسرا

كان عدد الفنادق في سويسرا سنة ١٨٨٩ ١٠٠٠ فندق تحتوي على ثمانية وخمسين الف سرير وفي تقويم سنة ١٨٩٩ بلغ مجموع الفنادق ١٩٠٠ و ٥٠٠ سرير وهذه الفنادق تشغل في عرصاتها ٣٤٠٠٠ الف عامل منهم ١٤٠٠٠ يدأبون على العمل طول السنة . رأس مال هذه الفنادق ٨٠٠ مليون فرنك صرف منها ٥٠٠ لاجل تشييد البناء ومجموع الواردات في كل سنة ١٩٠ مليوناً فاذا اعتبرنا هذا الرأس مال مأخوذاً بالفائدة تكون الحمارة خمسة في المائة بالنسبة الى الواردات .

خاتمة السنة السادسة

يختم المقتبس اليوم عامه السادس لانشائه في القاهرة والثالث لصدوره في دمشق ويحمد الله على ان جعل اعوامه الثلاثة في ربوع الشام لا تقل عن اعوامه الثلاثة الاولى في ربوع مصر بتحقيق المسائل واشباع الموضوعات ونقل اوضاع الغربيين والشرقيين المحدثين منهم والمتقدمين ومراعاة مالاخذ النفس به على قدر الامكان من عدم التعرض للابحاث الدينية والسياسية لكون مقالاته وابحاثه ثابتة في الجملة لا يغيرها تبدل النزعات المذهبية والاهواء الحزبية او الشعوبية او الاستعمارية

وهنا تعاهد القراء على بذل الطاقة في هذه الخدمة الشريفة مستعينين بالله وبمؤازرتنا الكرام الاعلام الذين جعلوا من هذه المجلة حديقة يانعة بثمار دروسهم وابحاثهم . وقد زدنا منذ السنة القادمة في صفحات مجلد السنة ١٦٠ صفحة فيدخل المجلد في السنة المقبلة في ٩٦٠ صفحة بدلاً من ٨٠٠ بحيث يصيب كل جزء [illegible] والله نسأل المعونة والهداية والعفو عما طغى به القلم من الخطيئات والهفوات

٣١٣

القول السديد

في

بعض مسائل الاجتهاد والتقليد

تأليف

العالم الاصولي الفقيه

الشيخ محمد بن عبد العظيم المكي الحنفي

ابن المقدسي الميروز الملا فروخ بن عبد المحسن

الرومي المورروي

رحمه الله تعالى

اتم تأليفه في شوال سنة ١٠٥٢ للهجرة

صححه وعلق عليه بعض الهوامش

السيد محمد رشيد رضا

وحق اعادة الطبع عن هذه النسخة محفوظه له

الطبعة الاولى سنة ١٣٣٢ هـ ق و١٢٩٢ هـ ش

مطبعة المنار بمصر

فهرس المجلد السادس

من المقتبس

صفحة

(١)

١٧٤ ابحاث واقتراحات في التشريع المصري الحالي (كتاب)
٥٤٢ ابن زيدون وابن جهور
١٣٥ آثار مصرية
١٣٥ الآداب الانكليزية -
٠٦٤ اديسون · فلسفته
١٤٥ الآذان · طنينها
٢٧٢ ارشاد الخلق (كتاب)
٥٦١ الاركيولوجيا
٢٣٠و٦٠٦ الاسبرانتو · لغتها
٦٦٩ الاستعمار الالماني
٤٩٨ الاستقلال المادي
٤٩٩ الامر السويدية
٦٦٢ الاسفنج
٦٨١ اسماء الاضداد · رسالة فيها
٢٣٦ الاسماك · حفظها
٦١٠ اسنان من خشب
٢٣٤ الاشتراك والبلديات
٦٦٨ اصلاح اجتماعي
٧٣٧ الاصلاح · اعداؤه
٢٦١ الاطفال · حدائقهم ومدارسهم -
٥٠١ افريقية الجديدة
١٥١ الافيون

صفحة

١٦٠ الاقوياء · طعامهم
٤٩٩ اكبر سد
١٥٢ اكبر مرساة
٤٩٩ الاكتشافات المقبلة
١٣٠ الالكحول · قتلاه
١٤٨ الالمان · انتشارهم
٦١٠ المانيا · الاتوموبيل
٠٦٤ المانيا · الفقراء فيها
١٣٧ المانيا كلياتها
٤٢٨ اميركا · الكحول فيها
٦١٣ اميركا · دور المطالعة فيها
٧٩١ اميركا · الاسرة فيها
٧٣٢ » · كلياتها
١٥٣ الامم · ثروتهم
٤٩٦ الامم العاملون فيها
٥٠٠ » · نوابهم
٢٢٤ أمة السواب
٠٤٩ الامة تحبو
١٦٠ الانسان والمدنية
٤٤٠ الاميركان · تجارهم
٤٢٧ » · عمياتهم
٢٢٤ انكلترا · والسلام
٦٨٠ » · والشاي
٠٧٥ » · الصيد فيها

صفحة
١٥٨ انكلترا · الفقر فيها
٢٣٦ « · مدارس الشعب فيها
١٥١ « · اموالهم
٢٣٣ الانكليزية الافرنسية
٢٤٩ الاوائل
٧٧ الاوربيون · هجرتهم
٢٩٨ اوغست كونت وفلسفته
٢٤٨ الاولاد · رعيهم
١٥٢ « الصغار · مطاعمهم
٤٣٩ « كتبهم
٢٣٣ « والكسب
٥٠٣ « مستقبلهم
٧٦ الاهوية · تبدلها
٥٥٦ ايطاليا · تجدوها

ب

٥٠٠ بابل · الجراحة فيها
٤٩٦ باريز · التمثيل فيها
٦١٠ « جامعتها
٦١٢ « ميناء بحرية
٧٨٨ « ومستقبلها
٤٢٨ البانيون · اعانتهم
٦٠٦ البحر الميت · حوضه
٦٠٨ بحيرة تشاد
٧٢٨ بختنصر · قصره
٥٥٤ بدائع الصنائع (كتاب)
٤٨٥ البديع · بحث في نوع منه
٣٦٥ البرجان
٢٢٠ برزخ جديد
٧٧ البساط المدني
٦١٣ بطرسبرج · المدرسة الافرنسية فيها
٦٣ البعثة العلمانية
٥٠٥ البكتريا
١٤١ « تلقيح التربة بها
٧٨٤ البلاط الصناعي
١٤٢ بندقية بدون صوت
١٣٦ بوليفيا · بربرانها
٤٩٣ بين اور باوامير كا
٣٨٥ « بلاد الآراميين والفينيقيين
٦٢٦ و ٦٨٧ و ٧٤٣ بين الفيحاء والشهباء
٤٣٨ بين القاهرة والرأس

ت

٤٨٨ تاريخ آداب اللغة العربية (كتاب)
٧٣٥ « حرب فرنسا والمانيا
٤٩٠ التاريخ الكبير (كتاب)
٦١٥ تاريخ التمدن الاسلامي (كتاب)
٥٤٧ « اليعقوبي (كتاب)
٧٩٠ التبريد · كانونه
٢٣٢ التشاؤب
٧٢٩ التربة السوداء
٦٥ التصوير الشمسي · اصله
٥٩٤ التعليم · اساليبه الجديدة
٥٩٨ « الاهلي

صفحة
٣٧٩ التعليم في مصر (كتاب)
٦١ التعليم الدنيوي
٥٥٠ تقويم البلدان (كتاب)
٤٤٠ التلغراف اللاسلكي
٦١١ التلفون في الابعاد الشاسعة
٧٣١ التمثيل والمؤلفون
١٦١ تواريخ المكتشف والمستعمر من البلاد والجزر في العالم
٦١٤ توجيه النظر الى علم الاثر (كتاب)

ث

٦١٦ ثلاث مجلات
١٥٠ الثلج · ازالته

ج

١٧٣ الجاذبية وتعليلها (كتاب)
١٥٢ الجردان
٧٩١ » · ابادته
١٤٦ الجغرافيا · تعليمها
٤٩٦ الجلد الصناعي
٦٥٠ الجماعات · قانونهم
٤٩٤ الجمال · نهضته
٦٥٠ الجماعات · قانونهم
٤٥٩ الجمعيات · ترجمة قانونها وشرح المغمض منه
٥٨ الجمعية الخلدونية
٦١ » الخيرية الاسلامية بمصر
٧٩٩ الجنس الابيض
٧٩٢ الجنسان · احصاؤهما
٤٤١ الجو · جالته

ح

٣٧١ حاضر الاسلام ومستقبله (كتاب)
٥٠٠ حبوب السوجا
١٧٤ حديقة الجنان في تاريخ لبنان (كتاب)
٦٠٧ الحرب · المناطيد فيها
٧٣١ » العثمانية الايطالية
٧٩٣ الحرف والحياة
٤٩٦ الحروب · صرعاها
٦٧٠ الحروب · نتائجها
١٤٥ الحس · عضو جديد له
١٥٨ الحسبة في الاسلام
١٤٤ الحلاقة · آلة جديدة لها
١٥١ الحمام · اكبر مزرعة له في العالم
٦٦٦ الحمامات
٦٥، و ٧٧٧ الحياة · طولها

(خ)

٧٣٣ الخلاء · العودة اليه

(د)

٦١٢ الدانيمارك · الجامعات فيها
١٧٥ دروس الصرف والنحو (كتاب)
٣٢١ دقائق عربية
١٧٤ دليل السلام (كتاب)
١٣٦ الدماغ · قراءته
٦٠٧ الدور الحجري · الفنون فيه

صفحة

(ذ)

٥٠٤ الذهب · محصوله
١٧١ ذيل على طبقات الحنابلة (كتاب)

(ر)

١٤٤ الراديوم · ثمنه
١٣٦ « « المداواة به
١٤٢ الرأس · شعره
٣٥٠ و ٤٥٠ و ٥٢٥ رسائل الانتقاد
٤٩٠ رسائل مختلفة
١٣٤ الرهبنات
٧٣٣ روسيا · الجنسية فيها
١٤٩ « الحركة التجارية فيها
٦١٢ « المرض فيها
٢٢٦ رومانيا · التعليم فيها

(ز)

٦٦٥ الزحافات ذات العرف
٣٨١ زراعة القطن (رسالة)
٥٦٩ الزلزلة العظمى
٧٨٩ الزنوج
١٥٠ الزهور · ساعة منها

(س)

٤٤٤ السراسرة اوالزرازرة
٥٥٩ السجناء · تاديبهم
٦٦٦ السرطان البحري
٥٥٩ السفر · الراحة فيه
٥٦٠ السكر الآسيوي

صفحة

٥٠٠ سكر جديد
٦٧٩ السكك الحديدية الصينية
٢٢٣ سلك بحري
٦٦٣ السمك الاحمر
٦٨٠ السمك · فن تكثيره
٨٠٠ السنة السادسة · خاتمتها
٢ « « · فاتحتها
٧٢ « الهجرية · رأسها
٧٨٤ السنور
٧٦ السوريون · طلبتهم
١٤٩ « · التسر عندهم
٢٢٤ السويد والشرق
٢٤١ سويسرا · التربية فيها
٨٠٠ « · الفنادق «
٤٢٨ « والغرباء
٥٠٣ « قوة الماء فيها
١٧٣ سيرة الفاتح (كتاب)
٧٩١ السيسمولوجيا · دروسها
٦٠٥ السينماتوغراف الناطق

(ش)

٥٢١ الشرطي والورق
٧٩٣ الشفة · شربها
٧٢٩ الشمس · لفحتها

(ص)

٣٨٢ الصاحبي (كتاب)
٤٣٢ الصحافة الانكليزية

صفحة
٢٤٤ الصحة . درس فيها
٧٨٥ الصحافيون والادباء
٧٣١ الصناعة . عاملاتها
١٤٠ صور تتغنى وتتكلم
١٤٤ الصيد . شباكه
٦٠٦ الصين انتباهها
٤٩٨ « الجديدة
٥٠٣ « . رقيها الصناعي
٦٠٩ الصينيون . غدائرهم
(ض)
٥٠١ الضعفاء . مدرستهم
(ط)
١٣٣ الطباعة
٤٧٠ « والصحافة التركية مختصر تاريخها
٤٣٩ طرابلس . سكتها
٦٧٣ « وبرقة
٥٩٠ الطفل . امه في مشهد الحريق
٦٠٨ الطيور انتقالها
(ع)
١٧٦ العادات (كتاب)
٥١٠ « ابياتها
٧٣٢ العالم المتحضر . صحفه
٨٧ عبر الاردن (كتاب)
١٦٤ العرب . لغتهم
٣١٤ « . مشاهيرهم والصناعات
صفحة
٦٦٢ العصر الحجري
٥٤ العفة
٦٦٨ عم العلم
٦٠٧ العمال الليليون
٢٤٨ العمل اليدوي
٥٠٣ العمى والحرف
٤٢٩ العناصر . حكايتها
٢١٩ العين الكهربائية
(غ)
٧٨٣ الغابات . اشجارها
٢٤ غابات سورية
٢٣٣ غابة تحت الارض
٧٨ الغذاء . تدبيره
٤٩٤ الغرب . الزواج فيه
١٥٨ الغرف . تطهيرها
(ف)
٨٩ و ١٧٧ و ٢٧٥ الفتوى في الاسلام
٣٢٩ الفروق
٤٣٨ فرنسا . موظفوها
٢٣٣ الفرنسيس . لغتهم
١٧٣ فصل القضاء (كتاب)
٦٦٣ الفنادق . صناعتها
٧٧ الفنانق . مدرستها
١٠ و ١١٧ في ارض الجليل
٥٧٣ في خمسين قرناً
٧٢٧ في القطار

صفحة

(ق)

٥٠٤ القدم . كبرها والرياضة
١٥٣ القراءة . الجهر بها
٧٩٤ القرائح . متوسطوها
٢٦٣ قرطاجنة والعرب
١٤١ قفل يفتح بصوت صاحبه

(ك)

٢٢٨ كارنيجي والسلام
١٣٥ « . معهده
٣ كتاب البئر
٢٠٩ « المدهش
٤٧٣ « القضاة (كتاب)
٥٠٣ الكتب . تصويرها
٣٢٠ « . صرعاها
٣٨٣ كتب مختلفة
١٥٠ « ورسائل ومجلات
٦١٥ الكلاب . الانتفاع بها بعد التربية
٢٢٣ « . لحمها
١٩٨ الكلمات الدخيلة
٦٦٤ الكليات الروسية
٥٩٣ « الاميركية
٧٩٦ الكونغو . الفيل فيها
٦٠٩ الكونفوشيوسية . مستقبلها

(ل)

١٧٦ لباب الخيار في سيرة المختار (كتاب)
٣٢٠ اللبن . تعقيمه

صفحة

١٣٣ « الرائب
٥٥٩ « طهارته
١٤٣ اللحم الاحمر واللحم الابيض
٦٥ اللغات . تعلمها
٢٣٥ لغة دولية مزدوجة
٦١٧ اللغة الانتقادية . كتبها
٢٣١ « الموقتة
٥٠١ لندرا . مكتبتها

(م)

٧٦ الماء . شجرته
٥٦٧ ماذا يقال الطابور ام التابور
٤٤٠ مالطة . حماها
٦١٥ المجازات النبوية (كتاب)
٤٩٥ المجانين . ميزاتهم
٢٢٧ المجلات . احتكارها
٤٩٧ مجلة فريدة
١٧٢ مجموعة المحررات السياسية (كتاب)
٦٦٧ المحاضرات والمسامرات
٧٨٥ المدن العظمى
٧٨٤ المدفع الهائل
٣٨٣ مدنية العرب (كتاب)
٢٢٨ المرأة والرجل
٥٦٠ « . اصلاح زيها
٥٣١ « . نفسها
٧٦٦ المسالك والممالك (كتاب)
٢٢٩ المصريون . اصلهم

صفحة
٦١١ « ٠ جنازاتهم
٤٩٣ المطاط
٥٠٤ المطالبات بحقوقهن
٤٢٧ مطبعة بدون حبر
٧٣٥ مطبوعات مختلفة
٧٣٠ المطر الصناعي
٧٣٣ المعمرون ٠ متقدام
١٤٥ المغنطيسية ٠ سفينة لرصدها
٥٥٨ المقعدون والصناعة
٤٩١ مكتبة الاسكندرية ٠ حريقها
٦٠٩ الملاحة ٠ تاريخها
١٤١ المنازل ٠ آلة لتطهير هوائها
٢٣٣ المنازل ٠ أجورها
٨٣ المنهج الاحمد (كتاب)
١٥١ المواشي والمراعي
٦٠٧ الموت جوعاً
٦٠٦ المؤتمر النسائي السادس
١٥٠ الموسيقى عن بعد
٦١٠ موسيقى المستشفيات
٧٨٩ الموظفون ٠ مدارسهم
(ن)
١٤٤ النبات ٠ تعجيل نموه
٧٩٨ « ٠ الحس فيه
٦١٢ نروج ٠ التعليم فيها
٧٩٢ النساء العاملات
٦٦٤ « ٠ سجونهن

صفحة
٧٩٦ « ٠ صناعاتهن
٧٣٠ النشر ٠ ادبه
٤٩٥ النصرانية والوثنية
٢٣٤ نظام القضاء والادارة (كتاب)
٤٩٢ النظر ٠ تربيته
٧٨٦ النفس الاسبانية
٣٦ « الانكليزية
٤٨٨ نهج البلاغة (كتاب)
٧٨٧ النوم ٠ اردياوه
(و)
٣٨٢ الواجبات (كتاب)
١٧٥ وجوب الحمية عن مضار الرقية (كتاب)
٦٦٦ الوقت ٠ الاقتصاد فيه
٢٢٣ الولايات المتحدة ٠ سكانها
٤٢٨ « « ٠ عمرانها
٦١٠ « « ٠ قوتها
٢٤٧ الولد ٠ لغته
(ه)
٦٦٥ الهجرة الايطالية
٦٦ « النبوية ٠ اسبابها
٥٠٤ هرباً من الثلوج
٧٩٣ الهلام النباتي
٢٢٨ الهند ٠ سكانها
١٤٣ الهواء ٠ طبقاته العليا
٦٧٩ الهيتيون
٦١٠ الهيجين العام

(ي)

صفحة
٤٩٤ يابان · اديانها
٥٩٥ اليابان · التعليم الادبي فيها
٢٢٦ يابان الحديثة
٧٨ يابان · المعارف فيها